

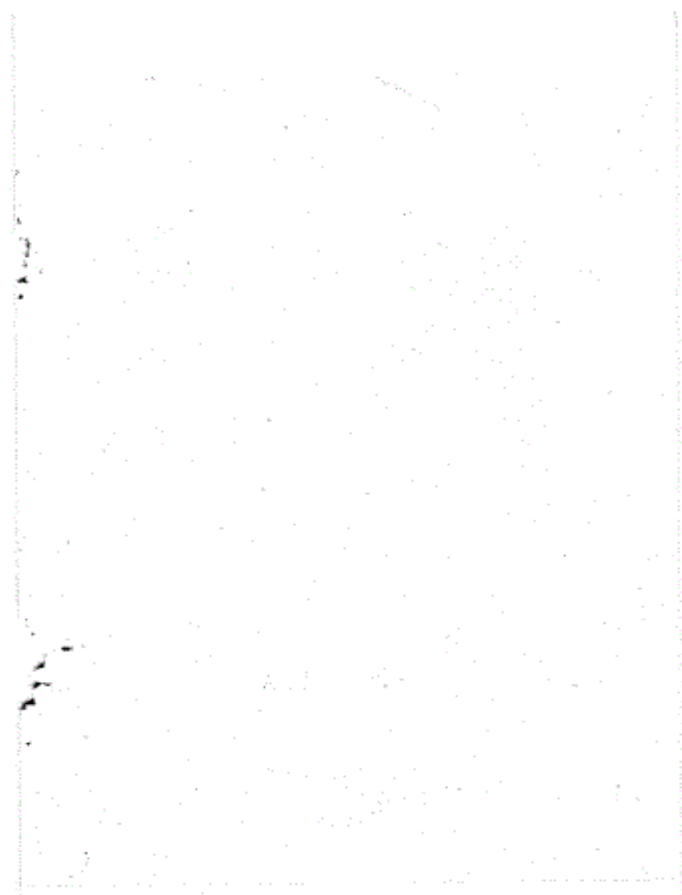
الدكتور
فتحى فرير

دروس تطبيقية من علم البيان

الطبعة الاولى

١٤١٤ - ١٩٩٣ م

مطبعة الحصن الإسلامية
٢٥ حارة المدرسة خلف الجامع الأزهر
٨١٠٦٧٢٤



مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والسلامة والسلام على أفضل العرب بيانا ،
وكامل الناس خلقا ، سيقنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ،
وبمسعد النبوة سماع محمد بن وهب ، في حياته فاهما بغير

البلاغة الزها في الحياة كبير ومهم ، غلبا على الحياة ترسم
لك السبيل ، وفي عمومها توضح لك النهج الذي تنهج ، وتحسد لك
التسويات والمعايير التي تأخذ بها في تعاملك مع أفراد المجتمع ،
بإقناع الواحد منهم بما ترى ، ياخذ ما تمتدده في قلبه وامكنه من
نفسه في صورة مقبولة ومعرض حسن .

فلا يبق السر البلاغة عند النظر في النصوص الأدبية لاستجلاء
محاسنها ، وإظهار معانيها ، والموازنة بينها — بل تمتد ذلك المجال
المحدود لتتصل وتشترك في معظم شؤون الحياة ، فهي اللغة التي
تناسب كل إنسان ، وتلائم كل ذوق ، إذ إن لكل طريقة معينة يؤخذ
بها في التعامل معه ، ومحاولة إقناعه . مثلا كان أو شيخا ، رجلا
أو امرأة — مثليا أو استغلا ، مهتدا أو طيبا ، إلى غيرهم — والبلاغة
هي التي تدلنا على تلك الطريقة ، فهي مطابقة الكلام لمتنقى الحال .

وإذا كان للبلاغة المكتبة السابقة ، فإن البيان وهو أحد أركانها
له من تلك المكتبة حظ واثق وشعب وانس ، ويظهر أثره جليا كل يوم
في غير ما أمر من أمور الحياة ، في هؤلاء الذين يحوزون قصب السبق
في دراستهم ، ومن يحسم لهم في خصوماتهم ، لقوة بيلهم ، وينقل
انتداهم على الانتفاع والتأثير . لذا كان أثره في الحياة عظيما ،
(م ١ — دروس تطبيقية)

علم البيان - منزله - معناه - وجوه

البيان من أخص نعم الله عز وجل على الإنسان ، إذ به يتميز عن غيره من سائر المخلوقات ، وصلى الله عليه يقول : (الرحمن - علم القرآن - خلق الإنسان - علمه البيان) (١) ، ويبين الأفراد بمقدار ما لديهم من قدرة على البيان ، كما يتمكنون من فضاء حوائجهم وحسب مشكلاتهم بيناتهم الساطع ، وبرهاتهم القوي ، ولذلك استلزم سيدنا موسى عليه السلام ربه أن يصطحب معه إلى قومه أخاه « هرون » الذي كان يتوته في البيان حتى يشهد إستجابة فرعون وإتهامه لمسا جاء به من عند الله « وأخي هرون هو الصيخ بنى لسانا فارسله معي ردها يستقني إلى أخاك أن يكذبون » (٢) .

كما يتمكن التكتل والشعراء من اقتناع القارئ ، وإقناع القارئ ، والتأثير على مواطن الدارسين ببياناتهم ومدى أساليبهم بأسول هذا البيان وأحاطتهم بأساليبه .

ولقد مررنا ما يقوله شيخ البلاغة عبد القاهر من فضيلة البيان في بقية أسرار البلاغة بعد أن حمد الله وحلى على تبيينه محمد ﷺ . إذ قال : « أهم أن الكلام هو الذي يعطى المعلوم منزله ، ويبين مرادها ، ويكشف عن صورها ، ويجنى صنوف ثمرها ، ويدل على سرائرها ، ويرزق مكنون غيبتها ، وبه إيان الله تعالى الإنسان من سائر الحيوان ، وبه فيه على منظم الامتنان ، فقال عز من قائل (الرحمن علم القرآن خلق

(١) سورة الرحمن : ١ - ٢ - ٣ .

(٢) سورة القصص : ٢٤ .

الإنسان . عليه البيان : إذ لولا لم تكن لتتعدى قولك - أعلم عالمه ..
ولتمطكت قوى الخواطر والأفكار من معانيها ، واستوتت القضية في
موجودها وغايتها ، نعم ، ولوقع الأمن الحسن في مرتبة الجهاد ، ولكن
الأدراك كاذب بتأنيبه من الأضداد ، وبقيت الغيوب مقلدة على ودائها ،
والمعنى مسجونة في مواضعها ، واستمرت الفرائض عن تصرفها بعتولة ،
والأذهان عن سلطانها بجزولة ، ولا يعرف أكثر من الإيمان ، وأساسه من
أحسان ، ولما ظهر فرق بين مدح وتزويد ، أو ذم وتوبيخ ، ثم إن الوصف
الخاص به ، والمعنى الملبث لنفسه ، أنه يترك المعلومات بأوصافها التي
وجدتها العلم عليها ، ويقرر كيدياتها التي تناولها المعرفة إذا سمحت
البيها (٢) :

فلعلك انتفعت بعند ما تقدم بقيمة البيان ، وعظيم مزاياه ،
فما هو علم البيان ؟ البيان : معناه الإنصاح والانتهاج ، وقد عرّفه
البلاغيون بأنه : علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح
الدلالة عليه مع المطابقة لفتنى الجبال .

فكرم محمد مثلاً معنى من المعاني . يمكنك أن تبرز في أكثر من
تعبير تختلف فيما بينها من جهة الوضوح وتقرير المعنى المراد بما يتناسب
مع أحوال المخاطبين .

فقد تسلك طريق التشبيه بوجهه المخاطبة مثلاً : محمد كالبحر
مطهر ، ومحمد كالبحر ، ومحمد بخير ، وألفها هو الأخير الذي حسن
منه وجه التشبيه والأداة ، فكان أكثر ثباتاً وتقريراً لكرم محمد .

وقد تسلك طريق الجار بأنواعه المختلفة من مرسل ومقتضى
واستمررة مثلاً : أيدي محمد لا تشكر على رقعة - أو كما قال الشاعر :

ما زلت تتبع ما تولى يدا بيد جنى ظننت حياتي من أيديها

(٢) أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني ص : ١ .

فالمبدأ في المثال والبيت مجاز مرسل مرسل علاقته الآلية .

وتعم الناس بآيام محمد — وقطعت ألبه الناس كزما — بالاسناد إلى الزمان الذي وقع فيه الفعل ميلغة في جوده على سبيل المجاز المطلق .

وقد تسلك طريق الاستعارة التصريحية قائلا : سمعت إلى البحر لأينقى من غسيله أو كما قال الشاعر المتنبي : «صفاء حال زمني حول الروم داخل على سيف الدولة :

واقبل يمشى في البساط فيما جرى إلى البحر يسمى أم إلى البحر يرتقى

أو المكتبة قائلا : نفاش محمد على الناس بكره .

والأولى أوضح من لثانية من غير شك .

وتسلك طريق التكاية نقول : أبواب محبة مفتوحة — ورائيه لا ينكت كثيرا في جيبه . نفرض أن المعنى قد يكون واحداً بيئياً تختلف وتعدد التعابير ، ومن غير شك قائما تختلف فيها بيئها من جهة إحيات الكرم لمحمد ، وأرغمها بلاقة وأعلامها بيئها ما يأخذ منها مقدارا زائدا من الفكر وإيمان الذهن . ولذلك فمن البلاغة ألا نتكلم بهذه العبارات السليمة من كرم محمد إن يلهم أسرارها ومن لا يفهمها ، بل نفرض في تحديد حال المخاطب لتتحدث معه بأسلوب يتسلم مع فهمه ويتسق مع مثله وفكره» (٤) .

(٤) نرى من خلال ما سبق كيف تنوعت عبارات التكلم واختلقت أساليبه بينا المعنى واحد وهو وصف كرم هذا الإنسان ، وكان ذلك التنوع في الأساليب لأن المقام يقتضيه . لذا يعدد التكلم بهذه العبارات مسلح بهيئتي .

فلنعد إلى هذه السبل التي سلكتها لنناقشها بقى من القوى ،
ولقد بما له منها في البيان قدم راسخ ، وهو التشبيه الذي يعد أصلا
من أصولها وأسسا من أسسه .

وواضح أن المتكلم البين لا ينطبق عليه ذلك الوصف إلا إذا تمكن
من تنويع الأساليب من كل معنى يجول في خاطره بما ينلهم مع حال
من يخاطبه . لذلك قالوا إن الألف واللام في « المعنى » الواردة في
التعريف للجنى ، أي لكل المعاني التي ترد على الذهن وليس معنى
واحد .

• كما يقد تديد المعنى بكونه واحدا الإتيار بأنه أو الورد معاني
متعددة بعضها أوضح من الآخر لا يكون ذلك من البيان كمن يقول :
خالد كالريح في السرعة ، وشاهدت حاتبا اليوم في الكلية ، فالعبارتان
تختلفان وضوحا وخفاء ، لكنها ليسا لمعنى واحد ، وإنما لمعنيين
مختلفين .

• كما نرى أن اختلاف الأساليب عن المعنى الواحد بعيد ومشروط
بأن يكون بعضها أوضح من بعض ، ليفهم من ذلك أنه لو تعددت
الأساليب للمعنى الواحد بدون أن تختلف فيما بينها وضوحا وخفاء
لا يكون ذلك من البيان كقولك في وصف شجامة أحمد : أحمد
كلاسد في الشجامة ، وكأنتك في الجسارة ، فقد اختلفا من حيث
اللفظ إلا أن درجة الوضوح فيهما واحدة .

• وحيث تتنوع الأساليب المتنوعة للمعنى الواحد كما رأينا في
التشبيه والمجاز والكناية فإن بعض البلاغيين عرفوا البيان بأنه :
علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية .

ونفس الخطيب القزويني وجه كون الأساليب الثلاثة السابقة هي
أساليب البيان وفنونه بأن اللفظ الذي يراد به لازم ما وضع له
إن قلت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو مجاز ، وإلا فهو كناية ،
وإن المجاز منه الاستعارة ، وهي تنبني على التشبيه ، فتعين التعرض
له : بغية الإيضاح ٦/٣ .

التشبيه

قواعده البلاغية :

إنه من عظيم من فنون البلاغة — وأصل من أصول البيان —
وسبيل من سبل السيق ، والإجادة وميدان للتنافس بين الشعراء والكتاب —
فهو يدل على صفاء الذوق ، ورفعة الحس — وتنبئ ثمرته ، وتركز أعميته
في توضيح المعنويات ، وإظهار الخفيات ، وجعلها على مقربة من العقول
والأنفس ، وتطهيرها في النفوس — فإذا ورد التشبيه في أعقاب المعاني ،
أو برزت هي بالفتن في معرضه ، وتقلت عن مسورها الأصلية إلى
صورته ، كساهها الهبة ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشبه من
نارها — وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها
واستثار لها من ألقى الأندة مسجلة وكفا ، وقهر الطباع على أن
تعطيها حجة وشغفا .

يتبين لنا ذلك جليا بالنظر إلى المعاني والموازنة بينها سلوكا
بهذا سبيل التشبيه والتبثيل وبينها غير مشبهة ومما (هـ) انظر إلى ما
يقوله الجعزي مادحا .

فإن على أيدي العفلة وشاسع

من كل ندى في السدى وشريب (٢)

(هـ) يقول الخطيب التزويني عن تأثير التشبيه : أعلم أنه بما اتفق العقلاء
على شرف قدره وفخامة لونه في فن البلاغة ، وأن تعقيب المعاني
به لاسيا قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى
التصود بها موحا كانت أو لها أو انتخارا أو غير ذلك .
الإيضاح ٨/٣ .
(٦) المثل والنظير .

كالبدر انطرب في الممار وشسوءه

للمصيبة السكارين جند قريب

ترك في غلبة من الدهشة والمحب عجب قرانك البيت الأول ،
ونأخذ في السؤال ! كيف يكون الشيء قريباً وبعيداً في آن واحد ،
وهو ما يقصده الباحث من وصف ممدوحه بقرب نفعه وقلو كرمه من
السائلين مع علو مكانته وارتفاع منزلته في البيت الأول ، عَلَيَّكَ أَتَقَبَّلُ
إلى البيت الثاني الذي دلل به الباحث وبرهن على حكمة السابق بصورة
من الطبيعة تشهدها بعينك بمطلة يابدر الذي يقضي الطريق للسائرين ،
بينما هو بعيد لا يدرك ، زال ما بك من مجب ، وولت دهشتك
واستغرابك ، وما استقرأ في خاطرك وبما كنا من وجدتك .

كذلك تدرك بعند الفارق بين قولك في وصفه من يتعب نفسه ،
ويشقى فكره في حفظ الكتب وإستظهار الدروس بدون أن يفيد مما يحفظه
— غير سيالك بكتابك سبيل التشبيه قلائد : فلان يكاد نفسه في قسراء
الكتب ولا يفهم منها شيئاً وقول الحق جل وعلا في وصف أصحاب اليهود
الذين قرأوا التوراة وحفظوها ولم يعملوا بها قديماً ولا اتقنوها بأجلتها
ولهم في ذلك كالحمار الذي يحمل كتاباً في أربعة العلوم ويستودع
نصار المتول وكل حظه منها الشقاء والعناء والذنب : لا مال الذين
حملوا التوراة ثم لم يعملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مال القوم
الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين (٧٧) .
وقول الشاعر في تجاه قوم يستكثرون من حفظ الأسفار ثم لا يشكون
من التميز بين الجيد منها والردى :

زوايل للأشعار لا علم عندهم

يجبدها إلا كعلم الأباير

لميرك ما يدري البعير إذا غدا

ياوساقه أو راح ما في الثفائر (٨)

كذلك تكاد تشك ولا تصدق ليا نسام قنعا بقرره من تولد الخير من الشر ، وفترتب التبع على محاولة الاشرار ، وذلك في الوضائات التي تكون على السنة الحاسدين تتكون سبيلا لنشر الحاسد ، وإذاعة الفضائل ، ولكنه بعد أن دال على صدق ذلك ويرهن على ثبوته بمثال من الطبيعة وصورة تراها بأعيننا ، وهي رائحة العود تنشرها النار وتذيعها مع ما في النار من الإحراق ، زاد المني وضوحا وتكنا في أماننا ، وذلك في قوله :

وإذا أراد الله نشر فضيلة

طويت أتاح لها حسان حسود

لولا استعمال النار غيبا جاورت

ما كان يصرف طيب عرف العود

كذلك تلج أبواب العميق بين من يصف ذلك الذي لا يتمكن من فهم الكلام لنساذ في ذاته بقوله : إن الجاهل الفاسد الطبع يتصور المني بغير ميسورته ، ويري من الصواب خطأ ، وبين قول المنبي في ذلك على سبيل التشبيه القمعي :

ومن ينك ذا قم مر مريسي

يجسد مرأ به الماء الزلال

(٨) الزوايل : جميع زائلة : وهي التي يحل عليها من الإبل وغيرها ، والأباير : جميع بعير .

فترى المعنى في قول المتنبي بدون شك أكثر وضوحاً وتأكداً ، لأنه الظاهر ومسوره بصورة من الطبيعة محسوسة يدركها كل من يذوق ويميز بين الأطعمة والمشروبات .

كذلك نجد المعنى اقل وضوحاً واستقراراً في قولنا :
* إن الذي يعط ولا يعط يضر نفسه من حيث يقع غيره ، مع الاتصاف على ذلك ، وبينه ما يوعا يقول المتنبي : في ذلك على سبيل التمثيل والتصوير : « مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به مثل المبراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه ، أو مثل القنبلة التي تضيء للناس وتحرق نفسها » .

وبين قولنا في الحكم على الدنيا بالزوال والنسيان : « الدنيا لا تدوم ولا تبقى » مع الاتصاف على ذلك ، وبينه ما يوعا يقول المتنبي : « من في الدنيا ضيف ، وما في يده عارية ، والضيف يرتحل والعارية مؤداة » .
أو يقول البيهقي :

وما المال والأهلون إلا ودائع

وقول آخر :

إمسا نعمة قوم متعبة

وحياة المرء ثوب مستعار

* فنترك من الموائمة السابقة بين المعاني مقطوعة من التمثيل وبينها متبوعة بالتمثيل عليها مدى ما للتمثيل من وقع على القلوب وتأثير على النفوس .

دواعي هذا التأثير :

أما دواعي هذا التأثير وأسبابه فثمة تمثل في :

١ - إضاح الخفيات ، وتبيين الجہات - بجمل المعنى حسياً :

فذلك هو السبب الاول من اسبابها للتثنية من وقع وتأثير على النفوس ، إذ يؤثر لها الانس ينقلها من الخفى إلى الجلى ، ويجيبها بالمريح بعد المكنى ، وينقلها من العقل إلى الاحساس ، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع ، ومن غير شك فإن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر على القوة والاستحكام وبلوغ النتبة غلبة التمام ، كما قالوا : « ليس الخير اكاملية » ولا الظن كاليقين » .

ومن اوضح ما يدل على ان التمثيل يزيد النفس انشغالاً بالمعنى واطمئناناً له أنك قد تعبر عن المعنى بالعبارة التي تؤديه وتبلغ وتجتهد حتى لا تدع في النفس منزاعاً تحسب أن تقول وأنت تصف اليوم بالطول : يوم كأطول ما يتوهم ، وكأنه لا آخر له وما شكل ذلك من نحو قوله : « حيث نرى ما نرى » .

في ليل صول تنهى العرض والطول
كانما ليله بالحسن موصول

فلا تجد له من الانس ما تجده لقوله :

ويوم كظل الريح قصر طوله
فلم يزل عناء واصطفاق الزاهر
وإن كان التمييز الأول أكثر لمبالغة في وصف اليوم من هذا ، لأن ظل الريح على كل حال متناه تدرك العين نهايته ، لكن التمثيل جمل الثاني أكثر وضوحاً ودلالة على الطول (٩) .
(٩) ويقول الخطيب القزويني من هذا السبب من اسباب تأثير التشبيه

- 54 -

أما السبب الثاني من أسباب وقع التمثيل وتأثيره على النفوس ، فهو ما يكثر به من الجمع بين الصفات ، والتقريب بين التباينات ، والتأليف بين المخلوقات ، نتيجة إطلاق الإنسان للخيال الذي يؤلف من الصور الخيالية والمتوهمه ما لا مكان لها في الواقع ولا وجود لها في الطبيعة ، وما يبعث النفس أن ترى الشئين مئتين ، وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض ، وفي خلقه الإنسان وخسائل الروض ، ولذا كان تشبيه الهندس في قول ابن المعتز :

بين الرياض على حمر اللواقيت

أوائل النار في أطراف كبريت

كائن - عيون - المرجس - الغض - حوتسا

وذلك لأسباب منها : ما يحصل للنفس من الانسحاب بإخراجها من خفي إلى علني ، ما انتقل ما يحصل لها بالفكر إلى ما يعظم بمشقة ، وأما إخراجها ما كان قدغلبه إلى ما الفتنه ومن الأدليل على أن الإحساس من التحرك للنفس وفيكون المعنى ما ليس بغيره إنك إذا كنت أنت صاحبك لك يسعي في أمر على طرف مفرقت ، وأنت تريد أن تقرر له أنه لا يحصل من سعيه إلى طائل فمخرجه يدك في المساء ثم قلت له : أنتار هل حصل في شيء من المساء شيء ؟ فتكذلك أنت في أمرك - كان ذلك ضرب من التأخير في النفس وفيه ١٠ - ١٢ .

على الرغم من أن المشبه به في الأول كثير الوجود في وفي الثاني
شاعر الوجود، ولكن تجلت براعة الأول في جمعه بين المخلوقين ، وتكليفه
بين المتفاعلين ، حيث أرانا مسورة لتبنيات غش يرف وأوراق رطبة
تري المساء منها يشق بالهيب نار مستول عليه القبيس وبدا يبيسه الكلف ،
ومبنى الطليع وموضوع الجيلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يعمده
ظهوره منه وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صيغة النفوس
به أكثر وكان بالسلف عنها أجبر .

فتأليف بين المخلوقين كما ترى من أبين الأساليب في هذه الآثار
التي يتركها التشبيه على النفوس ، فهو يأن بالحياة والموت مجموعين ،
والسوء والتسار مجتمعين ، كما يقتل في المدح : هو حياة لأوليائه ،
وموت لأعدائه ، ويجعل الشيء من جهة ما ومن أخرى نارا كما قال :

أنا نار في درقي تظهر الحسا

سوء ضياء جبار منع الإحسان

ويكمل الشيء لسوء القبيس في فصال كنهه قول الشاعر :

له ينظر في المعين ليس ناصع

ولكنه في القلب اسود اسفع (١٠)

ويجمل المثلث وجودا والوجود عينا ، وأثبت حينها والحق ميتا ،
أي جعلهم الرجل إذا يقن له ذكر جميل وثناء حسن بعد موته كأنه
حي لم يت ، وإذا لم تكن له نائدة ولا خير فإنه كأنه غير موجود .
ومن تأثير التشبيه لذلك السبق وهو الجمع بين المتناقضات التشبيه
بأنك من الشيء الواحد بالشيء عدة ، ويشتق من الأصل الواحد أفعتنا

(١٠) الأسفع : الأسود المشرب بحمرة .

في كل ثمر على حدة ، غارزند بباركه (١١) يعطيك شبيه الجـوـاد
والذي القطن والتنجع في الأمور والنظر بالسراد ، وبأسلاده شبيه
البخيل الذي لا يعطيك شيئا والبليد الذي لا يكون له خاطر ينتج غائده
ويخرج معنى ، وشبه من خيب سميه ، ويعطيك من القدر الشهرة
في الرجل والنتيجة والعز والارعة والكفال عن التتصان والتفصان
بعد الكمال ، كتول الشاعر :

المراء مثل هلال حين تبصره
يدو ضليلا ضميئا ثم يفسق
يزداد حتى إذا ما تم اعتبه
كر الجديدين نقضا ثم يتعق
كما يتفرع من حلقى تملعه وتصلته غروع ليليلة ، من ذلك قول
أبي بكر الخوارزمي :

أراك إذا لمسرت خيمت عنفنا
مقبيا وإن أمسرت زرت لسانا (١٢)
فما أت إلا البدر إن قل ضوءه
المسب وإن زاد الشسياء انقما

فاللحن لطيف ، وإن كثرت الميابة لم تسامده على الوجه الذي
يجب ، فإن الإغيباب أن يتخلل وقتي الحضور وقت يخلو منه ، وإلما
يصلح لأن يراد أن التمر إذا نفس نوره لم يوال الطلوع كل ليلة بل
يظهر في معنى الليالي دون بعض ، وليس الأمر كذلك لأنه على اتصاله
أظهر كل ليلة حتى يكون السرار .

(١١) يقال : وري الزند إذا أخرج ناره ، وأصله إذا لم تخرج منه النار .
(١٢) لسانا : أي غيبا .

٢ - احتياجه إلى فكر وتدبر :

لما يفعله التشبيه من تكوين صور ، وتأليف مناظر من وحس الخيال ، وجمعه بين المفاهيم والمفاهيمات ، وغير ذلك مما مر به ، فإنه يتوقف على مزيد من التأمل ، ويحتاج إلى وقت من التدبر بما يجعله يستقر في الذهن ويثبت في الخلط ، ومن المركز في الطبع أن الشيء إذا قيل بعد الطلب له أو الإستيقاظ إليه ومعاناة الحنين نحسوه ، كان نيسله الطي ، وبالمرارة لو أن مكان موقعه من التمسى أجل والطف ، وكلنت به لحن والشفق ، وكذلك شرب النمل لكل ما لطف منعه يسرد المسام على القلب كما قال :

وهن يئذن من قول يصحب به

مواقع المسام من ذي الفلة الصادي

ولا يمتدح على ما يتوقف عليه استجلاء روعة التشبيه من تدبر وتأمل بما يحتاجه التعقيد من فكر وتدبر ، وبمخالفة ذلك لما قاله ابنس : « من أن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك » ، لأن بواعث الفكر في التشبيه غيرها في التعقيد ، فالفكر في التشبيه منشؤه لطف المعاني ودقتها وتنسيق الانساق وإحكام ترتيبها ، فهو فكر محدود ، لكنه في التعقيد ينشأ عن إخفاء المعاني والنواء الإنشائي ، فكان مضموناً لا يأتي بالفائدة ولا ينتهي بشرة ، على نحو ما مر في لم التعقيد اللغوي في مثل قول الشاعر :

وما مثله في القياس إلا مملكا

أبواه في أسوه يقاربه

(م ٢ - دروس تطبيقية)

والمتمنى في مثل قوله :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا

وتسكب عيشاى التبعوع لتجسدا

وقد أرادوا بقولهم : « ما كان معناه إلى ذلك أسبق من لفظه إلى سمعك » أن يجتهد المتكلم في ترتيب اللفظ وتهذيبه وسيلانه من كل ما أخل بالدلالة ، وعاق دون الإبانة ، ولم يريدوا أن خير الكلام ما كان غفلا مثل ما يترجمه السبيلان ، ويتكلم به العامة في السوق (١٢) .

تعريف التشبيه — أركانه :

وقد عرف البلاغيون التشبيه بأنه : الدلالة على مشاركة امرأ لآخر في معنى مشترك بينهما بأداة من أدوات اللفوظة أو القسرة لغرض يقصده المتكلم وتمثل أركانه في : المشبه ، والمثبه به ، وأداة التشبيه ، ووجه التشبيه .

أ) المشبه والمثبه به : فيسميان طرفي التشبيه ، ولا بد في كل تشبيه استلزام من وجودهما على وجه يتبين من التشبيه ، وقد يحذف المشبه للعلم به ، ولكنه يلحوظ في التقدير كالمفوف ، فإذا سألت : كيف على ؟ فقلت : كالصاروخ انطلقا ، فإن التقدير : هو كالصاروخ انطلقا : فترى المشبه غائبا خلفا (١٤) .

(١٣) انظر : إررار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني من : ٨٤ — ١٢٥ طبعه رشيد رضا .

(١٤) لطرفي التشبيه : المشبه والمثبه به تشبيهات من حيث الجنسية والمعلية والإفراد والتركيب .

فمن حيث الجنسية والمعلية : يكونان حسيين كما في تشبيه الخد

بالورد والجلد الناعم بالحزير ، أو مثليين كما في تشبيه المعلم بالحياة ، أو المشبه عقله والمشبه به حتى كما في تشبيه المسوت بالتسبيح ، أو العكس كما في تشبيه العطار بخلق الرجل الكريم ، ويسمى هذا النوع الآخر ممتوسا أو مقلوبا ، ويصار إليه عند قصد المبالغة في ظهور الصفة في المشبه لدرجة أنه يجعل أصلا يقاس عليه ويشبه به .

ومن حيث الإفراد والتركيب : يكونان مفردين كتشبيه الخد بالورد ، وعليه قوله تعالى : « هُنَّ لِيَسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَسَ نَهْن » سورة البقرة : ١٨٧ . وقد علق الزمخشري عليها بقوله : لما كان الرجل والمرأة يمتثلان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عنقه شبه بقلباس للأخضر ، لأنه يصونه من الوقوع في فضيحة الفلحشة كالنحاس السائر للفسورة .

أو مقيسدين : أي يفيد كل منهما بقيد يتوقف على اعتباره تمام التشبيه كقول الشاعر :

إني ونزيبى يمدحى معشرا كعماق ذرا على خنزير
فالمشبه هو حال المتكلم في مدحه أناسا ليسوا أهلا لمديحه لهم
والمشبه به من يضع الدر على أمتاق الخنازير ، ووجه التشبه أنذى
يجتمع فيسه العارضان هو : وضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر
لأنها جاءت في غير موضعها .

أو مركبين كقول بشار :

كان مثار الققع فوق رؤوسنا وأسيفاننا قبل تهاوى كواكبها

فكل من التشبه والمشبه به هيئة مؤلفة من أمور يتماثل بعضها ببعض وإذا كان وجه التشبه : الهيئة الحاملة من وجود الأشياء

بشرقة يفسخ التحريك بسكون نظائره في جواب شيء بلسلم
أسود .

أو متعددين ؛ ولتعدد وجوه ، فقد يكون للطرفين معا ، وقد يكون
لواحد منهما ، فإذا تعدد كل من التشبيه والتشبيه به وجاءت المشبهات
في ناحية والمشبّهات بها في الناحية الأخرى سمي ذلك
تشبيهاً بثنوينا كلابيت المشهور لأبي الفيس :

كان قلب الطير رطباً وبابسا أدى وكرها العناب والحنك البالي
بتشبيه الرطب من ثوب الطير بالمعاب وهو شر طري ، والبابس
بالحنك البالي وهو ما جف من اللس وكان رديئاً ، وقد جاءت
المشبّهات في ناحية والمشبّهات بها في الناحية الأخرى كما
رأيت . وإن قرن كل مشبه بالمشبه به سمي ذلك بفروقاً كتقول
الشاعر :

القشور يسك والوجوه دنا

نير والطراف الكف عشم

بتشبيه النسر وهو الرائحة الطيبة بالمشك ، والوجوه في استدارتها
وإبراتها بالذئير ، والأليل بالعم وهو نوع من الشجر له ثمر أحمر
يشبه بها البنان المصوب .

وقد يكون التعدد لأحد الطرفين دون الآخر ، فإذا تعدد
المشبه دون المشبه به سمي تشبيه انتزعية كتقول الشاعر :

صدغ الحبيب وهالي كلاهها كالإيالي

وتقره في صفاً وأدعى كالسوقي

وأما وجه التشبه : فهو الحفة التي قصده لإسراك الطرفين فيها ،
وينبغي أن تكون في المشبه به أقوى وأظهر منها في المشبه : كتشبيه
القصبة بالورد في الحمرة التي تظهر في المشبه به يوشوح ، والوجه
الحسن باليفر في الاشراف الذي يمثل في البدر على كمال مسورة ،
ولذلك كان التشبيه ضعيفا في قول البحترى :

على سباب قنسرين والليل لافخ

جوابه من القصة بمسحاة

وإذا تعدد التشبه به دون المشبه ينسب إليه الجمع كقول
البحترى :

كأنما يسهم عن إراز منقصد أو برد أو قراح

فالتشبيه مقدر وهو القدر والتشبه به يكون في : إللواؤ التفسد
أي المنسق ، والبرد (حبات التهام) والأفاح مفردة : الحوان وهو
ورد له نور أوراثة في شكلها أشبه شيء بالأسنان .

« وأترق بين التعمد والركب » :

أولاً : يمكن التصرف في التعمد بالحذف أو التقديم وتأخير ولا يكاد
يتغير المعنى ، بينما لا يحسن شيء من ذلك في الركب فيمكن أن نقول
في بيت امرئ القيس : أليس من فلوب طسير كالحشف
اليلى ، والربط منها كالمقلب ، ولا يثائر المعنى بهذا التغير في
النسق ، ولا بمقابلة كل منصرفين بشيعة .

بينما لا يسع أن نقول في بيت بشار : كان التفع ليل ، وكان
السيوف كواكب ، حيث يتغير المعنى وتضطرب الصورة ، ولذلك
كان ما قال بشار أكثر دقة في نظر التعداد من قول امرئ القيس على
الرقم من أن كلا منهما يشبه شيئين بشيئين في بيت واحد .

فقد الحق الليل بالمداد في السواد ، ورب مداد غاد اللون ، لذا كل
الليل بالسواد وشدة الحق وأخرى .

وكان ابن الرومي أكثر توفيقاً منه في قوله :

حسب أبي حفص لمساب الليل

يسيل للأخوان أي سيل

فبالغ في وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل (١٥) .

ولما كان وجه الشبه هو المعنى الذي ينبغي أن يشترك فيه
الطرفان ، المشبه والمشيبه به ، فإن التشبيه تضعف قوته ، ويذهب
حسنة وجهه ، إذا لم تحقق تلك المشاركة ، لذلك فإن جمل الوجه
في قولهم : النحو في الكلام كاللح في اللحم - تكون الغاييل مصلحا
والكثير مفسداً - غير مبدل ، لعدم تحقق المماثلة بين الطرفين على أتم
وجه ، فإن القلة والكثرة إنما يتصور تماثلها في الملح دون النحو ،
وذلك بأن يجعل منه في الطعام القدر المباح أو أكثر منه - وليس النحو
كذلك - فإنه إذا كان من حكمه ربع الدامل ونسب المفعول مثلاً ، فإن
وجد ذلك في الكلام فقد حصل النحو فيه وانتهى الفساد عنه ، وصار
منظماً به في نظم المراد منه ، وإلا لم يحصل وكان فاسداً لا ينتفع به -
فالوجه فيه كون الاستعمال مصلحا والإعمال مفسداً لا تشاركهما في ذلك .

ويتصل بهذا ما حكى أن ابن شرف القيرواني أشد ابن رشيق
قوله :

عسرى جنى وأنا المساقب فيكم

فكثني سبابه التمسح (١٦)

(١٥) انظر : بقية الإيضاح : ٤٠/٣ ، ٤١ .

(١٦) هي الأصبع المرفوف التي يمشيها الشخص عند اظهار التهم .

وقال له : هل سمعت هذا المعنى ؟ فقال ابن رشيقي : سمعته وأخذته أنت وأسمعته ، أيا الأخذ من التابغة الذبباني حيث يقول :

حلفت لاسم اترك لنفسك ربيسة

وهل باتمين ذو إمسة وهو طالع (١٧)

لكفتني ثوب امري وتركته

كسذى العري يكوى غيره وهو رائج

وأما الإنسان فلأن سبابة المتكلم أول شيء يتكلم منه فغلا يكون المعاقب غير الجاني ، وهذا بخلاف بيت التابغة ، فإن المكوى من الإيبل عالم وما به عر البتة ، وصاحب العر لا باسم جيلة (١٨) فوجه الشبه بينهما إيقاع العقاب على غير الجاني وترك معالجة الجاني ، وبالنظر في شرطه وهو تحققه في الطرفين ، يبين لنا أن كلام التابغة يشتمل فيه ذلك التحقق ، بخلاف ما قاله ابن قسرف ، فإن أكثرناك الطرفين في وجه الشبه غير دقيق على الرغم من أخذه المعنى من التابغة ، وبذلك كان ابن رشيقي على صواب في تقديمه له .

وقد يحذف وجه الشبه للعلم به كقولنا : محمد كالأسد أو تحذف الأداة للعلم بها كقولنا : محمد أسد في الشجاعة ، إذ من المعلوم أنه يراد به الوصف بالشجاعة غير أن ذلك النوع الذي يحذف منه وجه الشبه أو الأداة انشوى ، وأكثر إثباتا للشجاعة محمد مما يذكر الوجه فيه أو الأداة ... لما ينطويه حذف الوجه أو الأداة من بطل التكرار في استنباطه والوقوف عليه مع وجادة التعبير ، وأبلغ منه ما يحذف فيه الوجه والأداة مما كقولنا : محمد أسد ، إذ يفيل البينة أن المشبه عيين

(١٧) الآية : الدين أو النعمة أسديت إليه - العر : الجرب .
(١٨) انظر : بغية الإيضاح ٢٢/٤ .

المشبه به مما يجعلنا نبذل مجهوداً فكرياً والداً في تصور هذا المثلّي ، مع الإيجاز في التعبير ، وذلك يطلق علماء البلاغة على مثل هذه الصورة من كل تشبيه حذف منه وجه التشبيه والأداة تشبيهاً بليغاً ، إذا وقع التشبه به خبراً عن التشبه كقولته تعالى : « هن لباس لكم ولتم لباس لهم » (١٩) وقوله : « نسألكم حرت لكم » (٢٠) وقوله : « إنها المؤمنون الخسوة » (٢١) ، وقول الشاعر :

عزمتهم قصب ، وقبض لكفهم

سحب ، ويبس وجرههم أقمار

أو في حكم الخبر كخبر كان في قول المتنبي :

وإذا اهتز للصدى كان يمسراً

وإذا اهتز للسوى كان تمسلاً

وإذا الأرض لظلمت كان شمساً

وإذا الأرض لمحتت كان دمسلاً

والمفعول الثاني لجمال في قول الله تعالى : « وجعلنا الليل لباساً » (٢٢) .

أو كان التشبه به مضافاً إلى التشبه كما في قول الشاعر :

والريح تعيث بالقمصون وقد جرى

ذهب الأصل على إجين المساء (٢٣)

(١٩) سورة البقرة : ١٨٧ .

(٢٠) سورة البقرة : ٢٢٣ .

(٢١) سورة الحجرات : ١٠ .

(٢٢) سورة النبا : ١ .

(٢٣) بتشبيه الجو وقت الاصيل بالذهب ، والساء في صفاته والفضة ، فانضيف التشبه به في كل منهما إلى التشبه .

أو كان مصدرًا مبيّنًا لنوعه كقول الله عز وجل : « ولرى الجبال تحسبها جبالدة وهي نهر المسحاب » (٢٤) .

فالتشبيه فيما مضى من كل ما حذف منه الوجه والأداة يستغرق منّا وقتًا ويأخذ قدرًا من الوقت عليه ، الأمر الذى يكتب له الثبوت والاستقرار فى نفوسنا ، ولذلك لقيه بعض البلاغيين بالتشبيه البليغ (٢٥) .

وأما أداة التشبيه : ففى كل ما دل على التشبيهية من جرف كالكاف وكان ، أو فعل نحو : شبهه ومائل ، وحاكى ، ومضارع ، ويشبهه ، ويمائل ، ويحاكى ، ويمضارع ، أو اسم نحو : شبهه ومثل ، ومماثل ، ومحاك ، ومضارع .

وعلى الرغم من تعدد أدوات التشبيه وتنوعها فإنها تختطف فيما بينها من جهة المعنى ، ويتفاوت التشبيه بسببها وضوحا وخفاء ، مما يتطلب من الناظم أو القارئ أن يلتزم الزبدة والأناة فى صوغ تشبيهاته حتى تحضر معبرة عما يريد وصانقة فى تصوير أحاسيسه ورسم مفاهيمه . فتولف : كان محمدا الأسد اذل على وصفه بالشجاعة من توفيقا : محمدا كالأسد - إذ تنيد العبارة الأولى بزيادة فى معنى التشبيه لم تلدها الثانية ، حيث تجعله من فرط شجاعته وقسوة قلبه ، وأنه لا يعرفه شئ ، بحيث لا يميز عن الأسد ولا يتحسر منه حتى يقوم أنه أسد فى صورة آدمى - وتشتت تلك الزبدة فى المعنى من اختلاف أداة التشبيه (٢٦) .

(٢٤) سورة النمل : ٨٨ .

(٢٥) من المبالغة بمعنى الزيادة فى المعنى ، وليس من المبالغة بمعنى المبالغة لقتضى الحال - لأن كل تشبيه يصادفه موقعه يكون بليغا فى موضعه .

(٢٦) انظر : دلائل الإعجاز : ص ١٧٧ ، ١٧٨ ط المرقسي .

والأصل في الكاف ونحوها من كل ما يدخل على المرد كلف مشابه ومماثل
 أن يلحق المشبه به ، وقد رأينا مرد لا ينشئ التشبيه به ، وذلك إذا
 كان المشبه به مركباً كقول الله تعالى : « وأضرب لهم مثل الحياة الدنيا
 كماء اتزلقه من السماء فaghظظ به ثياب الأرض فاصبح هشيماً تذرؤه
 الريح . وكان الله على كل شيء وقيداً (٢٧/١١) إذ ليس المراد تشبيه حال
 الدنيا بالماء ولا بغيره أخسر يتحمل للتقدير ، بل المراد تشبيه حالها
 في تشارفها وبهجتها وما يعتبها من الهلاك والفتن بحال التيسل يكون
 أخسر وأرقاً ثم يهيج فطيرة الريح كمن لم يكن ، وكقوله تعالى في وصف
 الحبار التهود وقد قرأوا التوراة وحفظوها ولم يعملوا بما فيها ولا اتنعوا
 بآياتها ، وأنهم في ذلك كالبحار الذي يحمل كتباً ولا يحفظ له منها
 إلا القصب والمشفة : « ما للذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل
 الحمار يحمل أسفارا (٢٨/١١) ليس المشبه به الحمار وحده ، بل الحمار
 ونحوه الحمل وأن المحمول شيء مخصوص في الأسفار التي هي أوعية
 العلوم ، وإن الحمار جاهل بما فيها فمثل ذلك قول الشاعر :

لقد طعمتني بالوصول تبسماً

ويعد رجائي أضرقت وتولت

كما أفرقت قسوماً عطشاً غيابة

فلما رجوها اقتضعت وتجلت

فلوجه الذي يجمع الطرفين : المشبه وهي محبوبته التي تفرقه
 وتطمعه بوصولها ثم تتركه في يأس وخيرة بإمرائها وتوليها والمشيبه به:
 وهي الغيابة التي تظهر لتوم عطشاً ثم تختفي هو : ابتداء مطيع متصل

(٢٧) سورة التكوير : ٤٥ .

(٢٨) سورة الحجية : ١١ .

بأنهاء مؤسس ، وذلك لا يحقته ما يلي الكتاب فقط بل ما يتصل به من زوال الغاية وذهابها بعد الرجاء في بقائها وتزول المطر منها (٢٩) .
الفرض من التشبيه :

(٢٩) قوة التشبيه وشعفه من حيث توافر أركانه كلها أو بعضها رئيسا من خلال الكلام المسلف أن التشبيه تتفاوت صورته من حيث اشتراكه على الأركان جميعها أو بعضها ضعفا وقسوة ، حتى إن التشبيه الذي لا يذكر فيه إلا طرفان : المشبه والمشبّه به يمتد من أقوى صورته مما حدا ببعض العلماء إلى أن لقبوه بالتشبيه البليغ ونقل فيما يلي حديث الخطيب القزويني في خاتمة كلامه من التشبيه عن صور التشبيه ومراتبه قسوة وضعفا من حيث توافر أركانه أو بعضها .

فيقول الخطيب تحت عنوان : مراتب التشبيه

قد سبق أن أركان التشبيه أربعة : المشبه ، والمشبّه به ، وأداة التشبيه ، ووجهه ، فالحاصل من مراتب التشبيه في القوة والضعف في المبالغة باعتبار ذكر أركانه كلها أو بعضها ثمان :

إحداها : ذكر الأربعة ، كقولك : زيد كالأسد في الشجاعة — ولا قوة لهذه المراجعة ، وثانيها : ترك المشبه ، كقولك : كالأسد في الشجاعة — أي زيد ، وهي الأولى في عدم القوة ، وثالثها : ترك كلمة التشبيه كقولك : زيد أسد في الشجاعة ، وفيها نوع قوة ، ورابعها : ترك المشبه وكلمة التشبيه كقولك : أسد في الشجاعة — أي زيد ، وهي كالثالثة في القوة ، وخامستها : ترك وجه المشبه ، كقولك : زيد كالأسد ، وفيها نوع قوة لمعوم وجه المشبه من حيث الظاهر ، وسادستها : ترك المشبه ووجهه

ومعلوم أن أسلوب التشبيه بصورة من صور البيان يكسب الكلام
 حديدًا من الأسرار وكثيرًا من الآثار البلاغية ، وهي آثار يشترك في
 تحقيقها صور البيان الأخرى مع اختلاف هذه الأسرار قوة وشأنها
 من من يبالي لمن يبقى آخر ، غير أن له المرافضا ومقاسد يستفد منه
 المتكلمون والكتوبون بنية الوصول إليها أو بمعناها ، وهذه الافتراض منها
 ما يعود إلى المشبه ، ومنها ما يعود إلى المشبه به .
 الافتراض التشبيه التي تعود على المشبه وذلك في الغالب تنطلي في :
 ١ - بيان أن وجود المشبه ممكن ، وذلك في كل أمر غريب يمكن
 أن يخالقه فيه ويدعى امتثاله ، كما في قول أبي الطيب :

فإن نفس الاسم وأنتك منهم

فإن المسك بعض دم الغزال

نقد بالغ في مدحه لكافور بأنه لتوفقه على جميع أهل عصره في الفضائل
 الفصحى كأنه من جنس آخر ، ولما كانت هذه دعوى غير معقولة حيث
 يستحيل أن يخرج الواحد من جنسه إلى جنس آخر فإنه قريباً من
 الإمكان وإزال منها صفة البعد بها ذكره في الشطر الثاني من هذا التشبيه
 الضملي الذي يعد دليلاً على ما ذكره في الشطر الأول ، وهو أن المسك
 بعض من دم الغزال لكنه بعد كأنه جنس آخر لما فيه من الأوصاف
 الشريفة ، فكان ذلك دليلاً على أن لما مدح به الشاعر صاحبه أصلاً في
 الوجود على الجملة .

المشبه كقولك : كالأسد ، أي زيد ، وهي كالمسنة ، وسامتها :
 ترك كلمة التشبيه ووجهه ، كقولك : زيد أسد ، وهي أنسوى
 الجريح ، وثانيتها : إيراد المشبه به بالذكر ، كقولك : أسد ، أي
 زيد ، وهي كالمسنة .

٢ - بيان حال المشبه ، كما في تشبيه ثوب بأكثر في الغسود
إذا علم لسون المشبه به دون المشبه .

٣ - بيان مقدار حالة في القوة والضعف ، والزيادة والتقصير
كقول الشاعر :

فأصبحت من ليلى السداة كقايض

على الماء خائفه فزوج الأصابع

أي لم احظ منها بقابل أو كثير كمال من يقف على الماء .

٤ - تقرير حالة في نفس السابح كتشبيه من يجهد نفسه في

السرايا بكون أن يجنى أي ثلثة بين برام على الماء .

٥ - تزيين المشبه للترغيب فيه ، كتشبيه وجه أسود بظلة الطير

أو تشويهه للتعريض منه ، كتشبيه وجه مجذور بسلمة جلدة قد تترتها

الديكة .

٦ - استطراف المشبه ، كتشبيه جمر موقد ببحر من المسك موجه

الذهب ، لمصورة المشبه به خيالية لا وجود لها على هذا النحو في

الواقع ، وذلك سر طرائفها ، ومن ذلك قول الشاعر في تشبيه زهر

البنفسج :

ولا زورقية زهو يزرقها

بين الرياض على جمر الياقوت

كأنها فوق قايضات قسطن بها

أوائل النار في أطراف كبريت

لمصورة المشبه به وهي : أوائل النار في أطراف كبريت من المسور

التي توجد بكثرة وبراحة الناس في كل وقت ، لكن يتغير حضورها إلى

الذين عند حذور المشبه لبعد المسافة بينهما ، حيث إن المشبه من أودية التبت والمشيبه به من واد آخر ، وذلك سر طرائق التشبيه ورومته ، ولذلك على (عبد الناصر) عليه بقوله : « أراك شبيهاً لتبتك غنى يرف وأوراق رطبة من لهب نار في جسم مستول عليه اليبس ، ويمنى الطبايع وموضوع الجيلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يعمد ظهوره بمسه ، وخرج من موضع ليس بعدن له كانت صبيحة النورس به أكثر ، وكان الشغف به لهدر .

وهذه الوجوه تقتضى أن يكون وجه الشيء في المشبه به ثم وهو يسه لشهر ، ولهذا شغف تول ليحتري :

على سبيل تفسيرين والليل لا تلخ

جوابيه من ظلمة يعمداد

(تفسيرين : مكان بالشام قرب حلب) لقد شبه التللم بالمداد والآخرى أن يكون العكس لأن الظلمة أصل في السواد ، ورب مداد فاد اللون ، والليل بالسواد وشده لحن وأخرى ، ولهذا قال ابن الرومي :
حبر أبي حفص لعلم الليل

يمسح الإضواء أي سميل

فبتلخ في وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل .

ونلاحظ أن هذه الوجوه يمشها أو تلتها نلقى أو لا نصاد تخرج من الوجه الأول من أوجه أسباب تأثير التشبيه على النفس وهو : إحتاته الخفى بالجنى والمغنى بالحدسي .

أما ما يعود على التشبيه به من أغراض مغالبا ما يكون لإيهام أن المشبه به ثم من المشبه في وجه الشيء ، وذلك في التشبيه المطلوب ، كتول محمد بن وهيب :

وبدا الصباح كان غرقه

وجه الخليفة حين يتدح

فترصد إيهام أن وجه الخليفة اتم من الصباح في الوضوح والضياء،
ومنه قوله تعالى حكاية عن مستحلي الربا : « إنما البيع مثل الربا »
فيمتنع الظاهر أن يقال : إنما الربا مثل البيع — إذ الكلام في الربا
لا في البيع ، فخذوا لجهلهم الربا في الحل اتسوى حالا من البيع
وأعرف به .

وقد يكون الغرض المأخذ إلى المشبه به بيان الاهتمام به كشبيه
الجالع وجها كالقدر في الاتراق والاستدارة بالرفيف إظهارا للاهتمام
بشأن الرفيف لا غير ، وهذا يسمى إظهار المطلوب .

٣٨/٢ — ٤٨

* * *

التشبيه والتشثيل

كل ما كان وجه الشبه فيه أمرا بيّنا بنفسه لا يتوقف على تأويل
في تحصيله فهو تشبيه عند عبد القاهر مفردا كان أو مركبا ، من ذلك
تشبيه الشيء المستدير بالكرة في وجه وبالخلة في وجه آخر ، والتشبيه
من جهة اللون كتشبيه الخد باللورد والوجه بالنهار ومن جهة الصورة واللون
كتشبيه الثريا بمتنود الكرم الملتور ، والتشبيه من جهة الهيئة كتشبيه
القامة بالرمح ، ولقد التفتي بالحسن ، والتشبيه من جهة الغريزة والطباع
كتشبيه الرجل بالأسد على الشجاعة ، والانطلاق كلها تدخل في الغريزة
نحو السخاء والكرم واللؤم ، فالشبه في هذا كله بين لا يجري فيه التأويل ،
ولا ينتظر إليه في تحصيله ، وأي تأويل يجري في مشابهة الخد للورد في
الحمرة وانت تراها هنا كما تراها هناك ، وكذلك تمام الشجاعة في الأسد
كما فعلها في الرجل (٢٠) .

التشثيل :

وما كان وجه الشبه فيه على خلاف ما سبق لا يدرك إلا بالتأويل
فيخصه (عبد القاهر) بالتشثيل ، وهو يتفاوت عنده في احتياجه إلى التأويل
والتأويل ، فمنه ما يحتاج إلى قدر يسير من التأويل حتى يكاد يلتحق
بالتشبيه كتأويلهم :

حجة كالشمس في الظهور ، والفاطمة كالإمام في السلاسة ، وكالتسيم
في الرقة ، وكالتسل في الحلاوة ، فوجه الشبه واضح في التشبيه به
أيضا سبق ، لكنه لا يلتحق في التشبه إلا بضرب من التأويل ، فالحلاوة

(٢٠) راجع : أسرار البلاغة ص ٦٤ - ٦٦ ط. رشيد رضا .

مثلا ظاهرة في الفصل ، اما في الكلام فبراد بهذا قبول النفس له ، وانس الروح به ، ومنه ما يحتاج إلى قدر رائد من الدليل حتى يحتاج في استخراجها إلى غسل روية ولطف فكرة ولا يعرف المقصود من التشبيه فيه بديهية النظر ، كقول فاطمة بنت الخرشب الابنيرة وقد سئلت عن

ايهم افضل ؟ فقالت : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها — أي لتتلبس أسوارهم في الشرف ينتج تمييز بعضهم فاضلا ، وبعضهم افضل منه ، كما ان الحلقة المفرغة ينتج تمييز بعضها طرفا وبعضها وسطا وبعضها نهاية ، فلا ينهم ذلك حق الفهم الا من له ذهن وتطوّر يرتفع به عن طبقة المشابهة .

ومضى هذا بحكم (عبد القاهر) بأن التشبيه عام والتبديل اخص منه فكل تبديل تشبيه ، وليس كل تشبيه تبديلا (٣١) .

التمثيل مفرد ومركب :

كل وجه احتاج إلى تناول من لونه ولطف في الوقوف عليه فتمثله بعد تبديلا عند (عبد القاهر) مفردا كما يسر أو مركبا كتولاه تمثلي : « مثل السكين جالوا النوراة لم لم يحياوها كمثل الدمار يجعل أسفارا يفس مثل الصوم الذين كذبوا بأيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين » (٣٢) فالتشبيه هنا ممتزج من عدة أبوز الفت وقرن بعضها إلى بعض فقد روى من الحجار عمل مخصوص وهو التحيل ، وإن يكون المحيول شيئا مخصوصا وهو الأسفار التي تعد أوعية العلوم ومستودع ثمار العقول وإن الحصار يجعل ما فيها حتى يحصل التشبيه المصنوع ، إذ لا يحصل من كل واحد

(٣١) راجع : أسرار البلاغة ص ٦٦ - ٧٣ .

(٣٢) سورة الجمعة : ٥ .

(م ٣ - دروس تطبيقية)

غرق (عبد الفاهر) بين التشبيه والتعطيل فيما مضى من جهة عدم توقف التشبيه على تناول شيء ، لكونه بيئة واضحة بهم بمجرد النظر واحتياج التعطيل إلى ذلك التأويل ، وأداء ذلك إلى أن يقرر بأن التشبيه عام والتعطيل خاص ، فكل تعطيل تشبيه وليس كل تعطيل تشبيه .

رَبِّمَا تَعْبُدُ الْتَامِلَسْنِي

يَجْتَنِبِينَ رِمَاسَانَ الْقَهْطُورِ

ورماتية شبيهتها إلى رائحتها

بشدی کعب او بختیہ ہرمر (۳۰)

(٣٣) راجع : المرجع السابق ص ٧٢ ، ٧٤ .
(٣٤) التكملة : النشأة الناهدة ، وأحققة بالضم : الحق وعاء للطيب وغيره مستدير إلى الغالب كثيرا ما يكون من العاج .

خ ٣٥ -

وكشبهه المبعوع إذا تكرر على خدود النساء بالملل والظفر كقول الناقبى:

بكت للحبيب وقصد راعيا

يسكاه الحبيب لبعده الديرار

كان للمبعوع على خدها

بقية ظل على جفاتها (٣٥)

ثم عكسه كقول البحترى :

شقائق بحلن السدى فتألمه

دموع الصابي في خدود الخرائد

تترى كيف مكنت التشبيهات المسابقة فجعل الشبه مشبها به

والشبه به مشبها دلالة على أن المشبه بلغ من الشهرة الحد الذى يجعله

جديرا بأن يكون أمثلا ينافس عليه ومشبها به .

وإذا كانت عملية العكس ثبت كما رأيت في التشبيه بدون ما حاجة

إلى قول ، فإنها لا تتم في الممثل إلا بعد مزيد من التناول .

ومن هذا الباب قول ابن بابك :

وارش كالأخلاق الكريم قطعها

وقد كحل الليل السعك فأبصرأ

فلما كانت الأخلاق توصف بالسعة والشيق وكثر ذلك واستمر توجيها

حقيقة تتأهل بين سعة الأرض التى هي سعة حقيقة والأخلاق الكريم ،

ومما هو حسن جميل من هذا الباب ما روى عن القاضى أبى الحسن

(٣٥) الجلفاي : زهر للرياح : فارسي مغرب .

أشبه قال : انصرفت من دار المصاحب قبيل العيد فجهش رسولته
بمطر المطر ومعه رتعة فيها هذان البيتان :

يا بهما القافى الذى نفسى له

مع قرب عهد لقائه بشقائقه

أهديت عطرا مثل طيب ثالثه

فكأنما أهدى له أخلاقه

فالمادة جارية بأن يشبه البناء بالمطر ونحوه ، ويشق منه ، وقد
عكس الأمر كما ترى ، وذلك على ادعاء أن ثنائه أحسن يصفه العطر
وطيبه من العطر وأخص به وأنه قد صار أصلا حتى إذا تيسر نوع
العطر عليه فقد بواخ من صلتته بالطيب ، وجعل له من الشرف والتفصيل
على حسنة أوامر نصيب (٢٦) .

تعقيب

رأيت (عبد القاهر) يخلص التمثيل بما كان الوجه فيه عطية فيسر
 غرضي سواء أكان مفردا أم مركبا ، وعلى الرغم من أن هذا التصميم يعدد
 أوضح التصميمات وأظهرها ، لأن الشأن في الحسيات وما يلحق بها من
 الغرائز والكيفيات النفسية أن تكون واضحة جلية ، فهي باسم التشبيه
 أولى وأجدر ، ولما للمثليات غير الغريزات ما لكان فيها اللطف والخفاء ،
 فهي باسم التمثيل الحق والجرى ، فإن رأى الخطيب القزويني الذي جعل
 التمثيل في الهيئة المنتزعة من متعدد حسيا كان أو عقليا يكاد يعد أصح
 الآراء لأن بعض الصور الحسية قد تحتاج إلى إعمال الفكر وإضافات
 الروية أكثر مما تحتاجه بعض الصور العقلية ، مما يجعلنا لا نرضى عليها
 باسم التمثيل ، وعلى هذا يدخل في التمثيل كل الصور والبيئات الحسية
 التي أخرجها منه (عبد القاهر) كتول ابن المعتز :

كان عيون الترجس الغض حوائسا

صداهن در حشوهن عقيق

وكتوله :

أصير على بعضى الحسوة

د فإين صبركه قاتله

فأقار تاكل نفسها

إن لم تجد ما تاكله

وكتول أبي نراس الحمداني :

والماء يفصل بين زهـ

مر السروفي في التبتلين فصلا

كمساطر وشى جردت

أبدي القيون عليه نصلا

وكتول بشار :

كان مثل الفزع فوق رؤوسنا

واسياقنا قبل تهوى كواكب

فجميع ذلك بما وجه التشبيه فيه هيئة حسية تتخل عند الخطيب التزييني فقط ، تشبيه عند (عبد الغافر) لأنه يخص التمثيل كما عرفت بالمعنى غير الفزوى مفردا أو مركبا ، وتشبيه كذلك عند السكاكي لأنه يخص التمثيل بالمركب المعنى غير الفزوى ، أما اللمخضري صاحب الكتاب فإنه لا يقيم فرقا بين التشبيه والتمثيل .

التشبيه القريب والبعيد

التشبيه ميدان واسع ، ومجال خصب للفنان الكتاب والشعراء ، تتجلى بلافتهم ، ويبرز سيقهم في نسج صور تشبيهية تلخظ لب الفاري ، وتستثير إجابته ، وتلك عليه مشاعره وأحاسيسه ، لا فيها من عمق وإسالة ، وإبداع وإلتكار ، في أجمع بين المثلثات ، والتأليف بين المخططات والمناقضات ، فإذا يذل الشاعر أو الكاتب جهدا في تأليف صورته التشبيهية من أجزاء كثيرة ، فجمع بينها في صورة واحدة ، وأنها في تركيب واحد ، أو جاء لئلا بصورة لا تظهر بياتنا ويمنظر لا يبر بانكارنا ، كان ذلك دليلا على بعد التشبيه وعلو قدره ، وبرهانا على نباعة شأن الكاتب أو الشاعر ، لكنه إذا لم يحاول إبداع ذهنه في الجمع بين المخططات وتقريب التباينات والكتفى بالمواضع المتبوس مما يتوصل إليه بمجرد النظر ويوقف عليه بلح البصر ، فإنه يكون دليلا على وضوح التشبيه ودلو شأبه ، وعدم المصبة جناحيه .

وسأعرض بين يديك أولا نماذج لتشبيهات قريبة تفرك بمجرد النظر ،
ولا تحتاج إلى إطالة التأمل والتفكير لإجمال وجه التشبه فيها ووضوحه ،
وكثرة مرور التشبه به فيها على الحواس .

قال المتنبي في وصف الأسد :

ما قوبلت ميتناه إلا نلتنا

تحت الحجى ناز القريق حبولا (٣٧)

يعد تشبه عين الأسد بالنار في الحمرة على سبيل المجازة من غير تتميل ،
ومنه قول الأبرار بن تميم بن الحر في وصف الخمر :

ناولتها تشبه خديها بشمعة

صوفنا كان سناها ضوء يقاس (٣٨)

فيشبه الخمر بخدي محبوبته في الحمرة على سبيل الإجمال دون نظر
لاكثر من ذلك .

وقال آخر :

والوجه مثل الصبح بينض

والفرع مثل الليل يسود

فقدان أبا الساجعما حسنا

والفرد يظهر حسنه القبيد (٣٩)

فيشبه الوجه بالصبح في البياض ، والشعر بالليل في السواد ، بدون
نظر إلى أكثر من جنس البياض ، وجنس السواد .

(٣٧) الحجى : جمعة دجبة ، وهي الظلمة ، الطريق : الجماعة وهو أكثر
من التعزية ، حولا جالين به أى : ناولين .
(٣٨) شمعة : خيلة ، صرعا : خنفس لم يزوج ، السنا : ضوء
النير ، القياس : شطة ناز وتقبس من معالم النار .
(٣٩) الفرع : الشعر .

وقول الآخر :

والهم كالغراب يسود لسون

يطير مع الريح ولا جناح

فقد شبه الغرس بالغراب في السواد .

وقول الآخر :

ألمأ بشر مثل الحرير ومنطق

رخيم الدوائى لا هراء ولا نزر (٤٠)

فقد شبه جسم محبوبته بالحرير في النعومة .

وقال ابن الرومي :

يا شبيهة السيد في الحسن وفي بعد الخصال

جد فقد تنفجر الصخرة بالماء الزلال

فأشبهه بالبدن من الوشوح بكان .

وكذلك كل ما كان من هذا القبيل مما يكون وجه الشبه فيه أمراً
مجهلاً ، أو المشبه به سريع الحضور إلى الذهن والمزور بالخالط ،
كشبهه الجواد بالبحر والمطر ، والشجاع بالأسد ، واللحن بالشمس
والنمر ، والسهم الملقى بالسيف ، والعالى الرتبة بالنجم ، والظلم الرزان
بالجبل ، والحي بالكر ، والثلث بالكاتب ، والقلبي بالحديد والصخر ،
والبلد بالحمار ، والوفى بالسمول ، والسكى بمسك ، والعليل بالحق ،
والبلغ بسحيان والخطيب بقس ، والحكيم بالعلماء ، والبخيل بمانر وغير
ذلك .

(٤٠) الدوائى : جسم حاشية ، وهي الجانب ، الهراء : المتلف الكثير
أو الفاسد لا ينظم له ، النزر : التثيل .

ولما كانت التشبيهات السابقة تدرك بسهولة ، ويوقف عليها بسرعة ، ولا تستغرق منا جهداً في إدراكها ، ولا تميل في طلبها لئلا تنقسم بالقرب والوضوح لما عرفت من وضوح وجه الشبه فيها لكونه **أمرًا مجملًا غير مفصل** أو لكثرة وجود الشبه به وحضوره إلى الذهن عند حضور الشبه أو لاجتماعها معاً ، والأمر الجمل لا يحتاج إلى تمب في الوصول إليه ، ولا يأخذ وقتاً للتوقف عليه ، وذلك أمر ثابت ومقرر بالنسبة **للمخصوصات** (١١) ، حيث نرى بالنظرة الأولى الوصف مجللاً ، ثم تدرك التفصيل عند إمادة النظر ، ولذلك قالوا : **التظرة الأولى حقاء ، وكذلك** بالنسبة للسمع وغيره من الحواس ، فلتبين من تفاصيل الصوت بأمانته علينا ، حتى نسمعه مرة ثانية ما لم نقيته بالسماع الأول ، وتدرك من تفصيل طعم المذاق بإمادته إلى اللسان ما لم ندركه في الذوق الأولى ، وبإدراك التفصيل ، يقع التفاضل بين راء وراء وسامع وسامع ، وهكذا ، فأما الجمل فتستوى فيها **الاستدراك ، وكذلك بالنسبة للمعولات** ، فالجمل أبدأ هي التي تسبق إلى الأوهام ، وتقع في الخاطر أولاً ، بينما تجسد التفاصيل مغمورة فيما بينها ، لا تحضر إلا بعد أميال الروية والإستعانة بالذكور ، وعلى ذلك يتفاوت الحال في الحاجة إلى الفكر بحسب مكان الوصف وبريقه من حسد الجملة وحد التفصيل ، فكلما كان أوغل في التفصيل ، كانت الحاجة إلى التوقف والذكور أكثر ، والنظر إلى التامل والذهول أيسر .

أما السبب الثاني لقرب التشبيهات السابقة وأينذالها ، فهو قسرب

(١١) وهي التي تدرك بإحدى الحواس الخمس وهي : البصرات والمسموعات والمشمومات والمذوتات والحواس .

التشبيه به من الأذهان وكثرة دورانه على العيون ، ودوام تردده على الحواس وإثرائها له في كل وقت أو في أغلب الأوقات .

التشبيه البعيد القريب :

ولما كانت الأشياء تميز بشدها ، فالبعيد من التشبيه هو ما يأخذ منا قدراً من التفكير ويزيدنا من الدأبل للوقوف عليه على خلاف التشبيه القريب ، كما في وجه الشبه فيه من تمثيل يحتاج إلى دقة ملاحظة ، ولمراقبة التشبيه به وقلة مروره على الحواس .

يقول امرؤ القيس :

جئت رديئاً كأن سبيلاً

سبنا لئب لم يتصل بخان (١٢)

ويقول منيرة العيسى :

يلوح لا يتقى غيرة

يلقي كالنيس الملهب (١٣)

فالتشبيه والمضية به يتحدان في البين ، والتشبيه حينها بعيد قريب لمجده إلى أعمال الفكر وكند الذهن ، نظراً لما في وجه التشبيه من تمثيل ، ووجه التشبيه هو : الهيئة الحاصلة من : الشكل المضموس ، واللون ، واللمعان ، والتقدير نذكر أن الأول أكثر بعداً ، والدخل من البلاغة من الثاني . لما بيننا من تمثيل فحق لا يتأى بمجرد النظر ، بل ينشأ بعد التروي والتثبت ، إذ تأى امرؤ القيس من التشبيه بما يعنيه .

(١٢) الرديئى : هو الرمع نسبة إلى « رديئة » كجديئة ، وهى امرأة سميرة ، كجعفر ، وكانا يقومان الرماح واليهما يشبه .

(١٣) الأنيثى : السيف ، القيس : شملة تارتقن من معلىم القمار كالفيلس .

وهو الخفان الذى يعلو شعله النار وهو المشبه به ، ولا يوجد له نظير فى السنان وهو المشبه تحليقا لتساوى الطرفين فى وجه الشبه ، فإزداد التشبيه روعة وحرابة ، بينما أطلق منثرة القول بدون استثناء هذا العيب الذى يثلل من نقية التشبيه وروعة لجاء دون الأول .

ومما ورد على ملوالب بيت امرئ القيس من التشبيهات الغريبة التى تحتاج إلى تأمل وتثبت فى ادراكها أدقة التتميل فى وجه الشبه فيها قول ابن المعتز يصف خروجه بالبارى سحرا إلى السيد :

لحدث فى شوب من الليل خلق

بطارح النظرة فى كل خلق

ذى منسر اتنى إذا شك خسر

مختضب فى كل يوم يعلو

وكل عظم مفصل إذا علو

وبقلة تصدقه إذا رمى

كاتها نرجسة يلا ورق

تشبها فى الديباج حتى ينفق

لقد شبه عين البارى بالنرجسة من جهة اجتماع الشكل المستدير بين الزركشة البديعة ، بعدما ما يقدح ويمويه ، حتى يتم التماثل ويتحاذى التشابه بين الطرفين ، وهو الورق الأخضر الذى يخط بالنرجسة ، ولا يوجد له شبه فى العين ، لذا كان التشبيه من الروعة والإبداع . وهذا الوجه السابق من وجوه التتميل فى وجه الشبه يعتبر أدق

لأن معنى التتميل فى هذا الوجه كما رأيت على أخذ بعض الأوصاف وتلقى بعضها .

وأروع أنواع التتميل ، حيث للتتميل في وجه الشبه وجهان آخران (٤٤) ،
قال الشاعر :

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى

كمنفود ملاحبة حين نسور (٥)

فالتشبيه غريب لحاجته إلى تدب في تلميح وجه الشبه ، لا لربه
من تميل في وجه الشبه والتتميل في هذا الوجه يختلف عنه في
الوجه الأول ، فبينا يكون في الأول بالخذ بمعنى الأوصاف وترك بعضه (٤٦) ،
تراه هنا يقوم على استعراض أوصاف الشبه واحدة بعد واحدة ،
واعتبارها كذلك في التشبه به ، فقد اعتبر الشاعر في تشبيه الثريا
بالمنفود الاتيم نفسها ، والشكل واللون ، وكونها مجموعة على مقدار
في القرب والبعد ، ثم طلب لها هيئة تشبهها فأصابها في المنفود التور
من الملاحبة إذ هو مكون من اجرام يمش سفار مستديرة ليست
متلاصقة ولا متباعدة بل لها مقادير في التفارب والتباعد على نسبة
قريبة مما فجد في رأي العين بين تلك الاتيم بذلك . نعلم التشبيه كما
رأيت على اعتبار كل هذه الأوصاف حتى لو فرض في تلك الكواكب أن
تتفرق وتتجمع فبأيضا أكثر مما هي عليه الآن ، أو قدس في المنفود أن
يثر لسن يكن التشبيه بحالة ، وكذلك الحكم في تشبيه الثريا بالجسم
المنفود في قول ابن المعتز :

كان الثريا في أواخر ليالها

مخرج نورا وجسام مفضض

في مراعاة الهيئة الخاصة من وتوسع تلك اتطلع والأطراف بين

(٥) الملاحية : متب أبش طويل سه تور : أخرج نوره كائنار .

(٤٦) الذي يقدح في التشبيه ويضعف من دقتة .

اتصال واتصال ، على الشكل الذي يتخفيه وضعها في الجسم ،
 فلو فرض أن تركيب مثلا على ستن واحد طولاً في سبر واحد مثلاً ،
 ويلتصق بعضها ببعض لبطال الشبيه .
 وكذلك طول الشاهر يصف الشمس حين طلوعها :

ولاحظ الشمس تحكي عند طلوعها

مرآة لبرسيت في كفا برتشي

نرى التتميل فيه يوم كذلك على استعراض أوصاف المشيه وهي
 الشمس ، واعتبارها في المشيه به ، وهو المرآة من الذهب في كفا
 برتشي ، ووجه المشيه : الهيئة (الناتجة من الاستدارة مع الإشراف
 واللمعان والاضطراب) ، فقد حفل التشبيه كما رأيت بالتفصيلات المتعددة
 في طريقه ، وإذا كان بعيداً قريباً .

فترى أن هذا الوجه من التتميل يقوم على كثرة التتميل في وجه
 المشيه ، يلاحظ أوصاف المشيه واحدة بعد واحدة واعتبارها كذلك في
 المشيه به ، ويزداد التشبيه دقة بكثرة ما فيه من تفصيلات ، كما يحتاج
 إلى عتد رائد من التامل ، كما تفاوت التشبيهات بعداً وبلاغة لكثرة
 التتميل في بعضها ولكنه في البعض الآخر ، وإذا نزل بشيراً بقوله :

كان مسار النفع فسوق رؤوسنا

واسبقنا قبل تهاوى كواكب

فان المتنبي في قوله :

يزور الأعادي في سماء عجايب

استنه في جانبها الكواكب

وعمر بن كاثوم في قوله :

تنبى سنانكها من فسوق رؤوسهم

سقا كواكبها الجبهي الجائر

فالتشبيه في كل بعيد غريب لكثرة التفصيل في وجه الشبه ، وعلى الرغم من أن المشبه واحد في جميعها وهو القبار المنار في ميدان القتال وقد لحت فيه السيوف وكذلك المشبه به وهو الليل المثلث السدي تترك فيه الكواكب وتتألق ، إلا أنه يشي من الدامل نقف على أن يشارا عند إيجاد في رسم الصورة كاملة ، ويرع في التوافق بين الطرفين ، لأنه راضى ما لم يراعه الآخران ، ولهذا صار كلامه كما ذكر الإلمم عبدالقاهر من التفصيل وكرم الموضع ولطف التأثير في النفس ما لا يقبل مقداره ولا يمكن تكراره ، ذلك لأنه راضى ما لم يراعه غيره ، إذ جعل الكواكب « نهالوي » فأحكم التشبه بين الطرفين بهذه الكلمة التي عبر بها عن هيئة السيوف ، وقد سللت من الأغنياء وهي تملسو وترسب وتجرى وتذهب ، ولم يقتصر على أن يرينا لمعاتها في أثناء المعجزة ، كما فعل الآخران فكان لهذه الزيادة التي زادها حظ من الدقة تجعلها في حكم تفصيل بعد تفصيل (٤٧) .

ومن أبلغ الاستقصاء وعجيبه قول ابن المعتز في تشبيه ظلية الليل وقد لمس في جواتبها بريق من ضوء الصبح يدفعها دفعا قويا بغراب أسود ذي قسودم بيض وقد أزعج من مكانه فأسرع مستورا في طيرانه: **كاننا وضوء الصبح يستعجل الفجى**

تطير غرابا ذا قسودم جسون (٤٨)

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه الصبح بأشخاص الغراب ، ثم شرط

(٤٧) انظر : أسرار البلاغة ، ص ١٤١ .

(٤٨) قوائد الطير : مقام ريشه وهي عشرة في كل جناح الواحد فاعية ، والجون بالضم جمع جون بالفتح وهو الأبيض والأسود (غسد) والمراد هنا : البهيس .

أن تكون تساويم رؤسها ببها ، لأن تلك الفرق من القلبة يقع في حواشيها بريق من السور بأرأى للمعين كشكل القوائم البيض في الغراب الأسود ، وذلك يكون قبيل ظهور مجسم المبح ، وتنام التدقيق والسحر في هذا التشبيه في شيء آخر ، وهو أن جعل ضوء المبح لقوة ظهوره ودفعه لنظام التيسل كانه يحفز الدجى ويستعجلها ، ولا يرضى منها بأن تنهل في حركتها ، ثم لسا بسا بذلك أولا اعتبره في التشبيه آخره قتال : (تطير غرابا) ولم يقل : غراب يطير مثلا ، وذلك أن الغراب وكل طائر إذا كان واقفا حادئا في مكان فارغ وأخيف والطير منه ، أو كان قد حيس في يد أو قفص فأرسل كان ذلك لا بحالة أسرع لطيراته وأجمل وأشد له وأبعد لأمده ، فإن تلك الازمنة التي تعرض لسه من تنفيره أو الفرحة التي تدركه لثقلاته وفراره بها تدعو إلى أن يستمر حتى يقرب من الألق ويصير إلى حيث لا تراء العيون ، وليس كذلك إذا طار عن اختيار لأنه يجوز حينئذ أن يصير إلى مكان قريب من مكانة الأول ، والا يسرع في طيراته ، بل يمشى على هيئة ، ويتحرك حركة غير المستعجل .

فقد جعل التشبيه كما ترى بكل هذه التفصيلات التي لا تأتي عرضا بل بتدبر وتنهل ولذا كان يميدا غريبا ، وقد عرفت أن التفصيل فيه من الوجه الثاني القائم على استعراض أوصاف المسببه ثم اعتبارها في المسببه به .

الوجه الثالث من أوجه التفصيل في وجه التشبيه :

وللتفصيل في وجه التشبيه وجه ثالث يتصل في ملاحظة خصوصية في الوصف الذي يراد إشراك الطرفين فيه ، لأن الاشتراك في الصفة إذا كان من جهة الجملة على الإطلاق بحيث لا يشوبه شيء من التفصيل نحو

أن كلا الشئين أسود أو أحمر فهو في غنى عن التشبيه فإن دخل التضمين شيء نحو : أن هذا السواد صاف براق ، والحمرة رقيقة ناعمة احتجت بقدر ذلك إلى إدارة الفكر ، وذلك مثل تشبيه حمرة الخد بحمرة الفتح والورد فإن زاد تضمين مخصوص فقد العبارة عنه ، ويتميز عليه بفشل تأمل ، أورد الأمر قوة في اقتضاء الفكر ، وذلك نحو تشبيه سقط النار بعين النيك في قول الشاعر :

وسقط كعين النيك ماورث صحنى

أياها وهيأتا لوقمها وكسرا (٢٩)

فلم يقصد فيه إلى جنس الحمرة مجسدا ، بل قصد إلى ما في عينه من تمثيل وخموص ، والتضمين والخصوص الذي في عينه يزيد على كون الحمرة رقيقة ناعمة والسواد سائيا براقا ، وذلك لا يتأتى ببقية النظر ، بل لابد فيه من التثنية ، لهذا كان التشبيه بعيدا غريبا . وتتفاضل التشبيهات كذلك من ناحية التدقيق في الخاصية التي لوحظ اشراك الطرفين فيها ، لذلك كان قول ذى الرمة في وصف الناقة :

كان على ألبانها كسل مسخرة

صباح البرأزي من صريف اللواك (٥٠)

(٢٩) المسجية : اسم جمع صاحب ، وماورثهم : توارثتهم ، والبيت في وصف السقط الذي يكون من الزند وهو مثق السنين ، والأشهر منها الكسر ، ومن عاقبتهم غنصها يريدون استخراج النار منهم كانوا يأتون بالعمودين فيشعرون أدهبا اسفل ويسمونه الأتقى ، ويترشون فيه نربسا ويجرون فيه عودا أخضر يسمونه الآب ،

أربع طبقة من قول امرئ القيس :

كل صليل المروجين تشبه :

صليل زبوف ينتقدن بعقرا (٥١)

لأن التتميل والخصوس في صوت الباري آيين والظهر منه في صليل الزبوف ، إذ أن صوت الباري فلما يسمع .

تدرة تكرار المشبه به على الحواس :

لما السبب الثاني ليعمد التشبيه وغريته ، فهو تدرة تكرار المشبه به على الحواس ، ويطاء حضوره إلى الذهن عند حضور المشبه إليه ، لما ليعمد المقاسية بين الطرفين : كتدرة دماي : (والقدرة قدرته بمنازل حتى عاد كالمرجون القديم) (٥٢) فمسورة المرجون القديم موجودة بكثرة ،

وأحيانا يتفرون تقرا في العسود الأول ، ويريمون أي يديون فيه أذناني ، وهو فائم غدا طال زمن العمل ، ولم تخرج التفر تملوب للعمود المذكر وهو الأب جماعة الواحد بعدد الآخر بحركة حتى تخرج ، والمراد من الوكر ما تودع فيه التسلي بعدد خروجها كالخشب والنخيل ونحوهما .

(٥٠) السحرة : يضم العين - السحر الأمل قبل التصداع الفجر - التصريف : صوت التاب ، والتوالك : جمع لالك والمراد بهما : القواضح .

(٥١) المرو : الحجارة البيض الرقائق ، واشده إشذاذا : تنحية ، وميثر : قيل بلدة في اليمن مشهورة بتزوير النقود ، وقيل : هي قرية للجن ينسبون إليها كل عجب في الحسد والتنج .

(٥٢) والمرجون : سبالة البطح إذا بيست انحنت وتلوست فتكون شبه شيء بنقوس الهلال .

(م) - دروس تطبيقية .

لكن يندر حضورها إلى الذهن عند حضور المشبه ، وهو التبر ، وهذا
كان التشبيه غريباً لأنه جمع بين شيئين لا تناسب بينهما في الذاكرة ،
ولا مرور لهما بالخيال ، فاجدهما في السماء والأرض في الأرض ،
واجدهما رمزاً للعلو والشهرة ، والثاني دليل على الحداثة ، فترق شمس
ويون يعيد بينهما ، وثمة قول عبد الله بن المعتز في وصف الينسج :

ولا زورديه تزهو بزرقتهما

بين الريش على جمر البوايت

كتهما فوق قامات ضعفن يها

أوائل النار في أطراف الكريت (٥٢)

فالشبه : زهار الينسج اللزق على السيقان الضعيفة ، والمشبه
به أوائل النار في أطراف الكريت ، ووجه التشبه : هو الهيئة الناتجة
من تكون الخشب متصلاً بالساق الدقيقة المخالطة للونه .

وتفكر أن المشبه به بكثرة وجوده ، لكن يندر حضوره إلى الذهن
وهو زورده بالخاطر عند حضور المشبه ، لذلك كان التشبيه يعرجاً غريباً أبعد
المناسبة بين الطرفين ، ولو أنه شبه الينسج ببعض النباتات ، أو
صاف له شبيهاً في شيء من المخلوقات ما كانت له هذه الغرابة وتسم
يقل من الصن هذا اللحظ ، كما تترك مبلغ مقسة الشاسع في التعبير
بأوائل النار في أطراف الكريت ، لأنها لو كانت على غير ذلك لكانت
جمرات لا زرقاء فترسقط التشابه وتقل روعته ، وإذا يذكر عبد التاجر في
ببسن سر طرانة هذا التشبيه وجمال وقعه : « ويبنى الطباع وموضوع
الجيئة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يبعد تلوونه بنسبه ، وخرج من

(٥٢) المراد بالزوردية : زهور الينسج ، والغليات : سوق التيلت .

موضح ليس يمعن له كانت صياغة النفوس به أكثر ، وكان بالشفه منها
أجدر (٥٤) .

ولما لكونه تشبيها تمثيلا :

ويكتسب التشبيه مسة البلاغة واليعد إذا كان وجه الشبه فيه
هيئة منتزعة من متعدد حسيا كان ذلك أو عقليا وهو ما يعسرف
بالتمثيل (٥٥) ، عن المركب المعلى قول الله تعالى : (إنما مثل الحياة
العتيا كما ءأزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس
والأنعام حتى إذا اختل الأرض زخرفها وأزيت وظن أهلها أنهم قادرون
عليها أنهارا أمرا إيسلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تن بالأمس كذلك
نفصل الآيات لقوم يفكرون) (٥٦) وقوله عز وجل : (اعموا عما الحياة
العتيا لعب ولو ورية ، وما فسر بيبكم وناس في الآول ومودة حمل
عيت أعجب النصار بساته ثم يهين فصارا مصرا ثم ينون خطبا وفي
الأخرة عذاب شديد ومغفرة من الله رضوان وما أعياه تنديلا فلا ينساع
الفرور) (٥٧) فالتشبه في الآيتين هيئة والمشبه به هيئة كذلك ووجه الشبه
فيهما هيئة منتزعة من متعدد وهي : الهيئة الحاملة من زوال العتيا
وفتاتها بعد القيلها وانتمائها ، فالوجه كما ترى مركب معلى يحتاج إلى
تأمل وتدير في الودوف عليه لذا كان التشبيه بعيدا قريبا ، كما أن فيه
تمجيلا كثيرا ، لذا يفتح فيه سببا اليمد .

(٥٤) انظر : لمرار البلاغة ص : ١٠١ ، ١٠٢ .

(٥٥) هذا هو لأرى الأراجح في التمثيل وهو رأى الخطيب التتوييني ،
لما عيد انماهم فربما التمثيل بما كان الوجه فيه مثليا مفردا
أو مركبا ، والسكتي يفهمه بالمعنى المركب ، بينما لا يرى جار الله
الزغشري فرقا بين التشبيه والتمثيل .

(٥٦) سورة يونس : ٢٤ .

(٥٧) سورة الحديد : ١٦ .

ومن المركب المعنى كذلك قول الله عز وجل : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) (٥٨) فالتشبيه هو : حال أحبار اليهود وقد قرأوا التوراة وحفظوها ولم يعملوا بها فيها والتشبيه به : حال جبار يحمل أسفارا هي أوعية للملوك وسفودع ثياب المتبول وهو جاهل بكل ما فيها ولا يحفظ له من حملها إلا القسب والتعب . ووجه التشبيه : تحمل التعب في استصحاب الشيء مع الجهد به . وهو مركب على يحتاج إلى تأمل . كما أن فيه تشبيها كثيرا .

ومنه كذلك قول صالح بن عبد القدوس :

وإن من ألقته في الصبى

كالعمود يبقى الماء في غرسه

حتى تراه دونقنا ناضرا

بعد الذي أجمرت من يفسه

فالتشبيه هو : حال المصبي يتمدد بالتأدية والتربية في صبياه ،

والتشبيه به : حال العمود يمتلئ يستقر منه الغراس ووجه التشبيه :

أن كلا يجدى فيه فسلج وينفع فيه التعب فمادة موقعة .

كذلك من المركب المعنى الذي يحتاج إلى تأمل في الواسع إليه

قول كثير مزة :

لقد أطمعني بالوصيل فيما

وبعد رجالي أمرضت وتولت

كما أبرقت قوسا غطاشا غماية

فلما رجوها انقضت وتجنبت

عالمشيه : حالة مع بحويته وقد اطمعته بالومسال الذي هو في
ابن الحاجة اليه ثم اعرفت منه فخاب امله وانتطع رجساقوه ،
والحق به يوم مطاش بالشهون إلى الماء فواؤا متخاية تترك من بعد
غاباؤا الذي منها لم تركهم وانصرفت . ووجه المشيه : ظهور امارات
الظفر بالقصود المحتاج اليه ، ثم تركه في ياس وجيز بعد السرور
والفرح .

عالمشيهات الشايقة بعيدة وكثيرة ، لسا تمنجبه بن اطلالة الفكر
وزيادة كمال للوقوف على وجه المشيه لكونه مركبا عقليا .
ومن التشبيه التمثيلي لكون لوجه فيه مؤكدا حسيا قول ابن عباس
الحمداي :

والماء يفصل بين زهد سر الزوض في الشطين فصلا
كيساؤ وشس جرنت ابدى القيسون عايه تصلا

عالمشيه هو : حال الماء ينساب بين روضين على شاطئيه وقد
وشاعيا الزهر بالوائه الرائحة . والمشيه به : حال سيف مستطيل
لا يزال يرافا لامعا وقد سله القيون على بساط اخضر موثي مزيكي .
ووجه المشيه : هو الهيئة الناتجة من وجود شيء مستطيل أبيض في
وسط شيء مبسوط اخضر ، ومنه كذلك قول الشاعر في وصف الشمس
عند طلوعها :

ولاحت الشمس تكمي عند مطلعها

مراة تبريت في كف برتعش

فالتبعية : حساب الشمس وقت طلوعها حرراً، مضطربة والتبعية
بها : الهيئة الحاصلة من مرآة من ذهب لم يكن مرتعش : ووجه التبعية هو :
الهيئة الحاصلة من الاستدارة والاشراق والتلّمان والاضطراب .

وقول بشر :

كان مشار النقع فوق رأوسنا

واسطافنا ایل هواوی هواوی

عاشية : حال الظلم وقد امت فيه السموات والارضه
والله به حال الظلم الظالمين ، كوكبه ، ووجه الشبه : هو
الهبة المتلقية من وجود شيء آخر لا يحترق ويضطرب في جواب شيء
مظلم .

فوجه الشبه فيما ذكره، يتطلب معارضة في الآخلاق عليه سواء أكان
مطلباً أم حسياً ولذا كان التشبيه التمثيلي بعيداً قريباً لاجتماع سببي
البعد فيه وهما :

ندرة تكرار المشية به على الحوائس ، وكثرة التفصيل في وجه
الاسم .

ولما لكونه أمرا وهميا أو خياليا (٥٩) :

ويندر كذلك تكرار المشبه به على الحواس لكونه أمرا وهميا لا وجود له إلا في الوهم أو خيالنا لا وجود له إلا في الخيال ، فمن الوهمي

(٥٦) الفرق بين الوهمي والخيالي: أن الوهمي لا وجود له أصلاً يعنصره المردة أو صورته المركبة إلا في الوهم ولذلك يجعله البلاغيون من العجائب.

أما الخيالي: فإن صورته المركبة لا وجود لها إلا في خيال أصحابها، بينما توجد عناصر المردة في الواقع، لذلك يجعله البلاغيون من الصناعات.

قوله تعالى في تصوير طلع شجرة الزقوم : (**ظلمها كأنه رؤوس الشياطين**) (٦٠) فالشبه : المطلع ، والشبه به : رؤوس الشياطين ، وهو شيء وهمي إذ لا وجود لرؤوس الشياطين ، إلا في الأوهام ، ولذا كان بعيداً غريباً ، ويثقل قول امرئ القيس :

أيقننى والمشرقى بشئاجى

ومسلونه زرق كاتباته الأقوال

فالشبه : القراح المستوتة ، والشبه به : انساب الأقوال ، ووجه الشبه : الحدة والتشبيه بعيد غريباً لفترة حضور الشبه به إلى ذهن عند حضور المشبه لكونه أمراً وهمياً إذ لا يزيد على بعد الشيء عن العيون على أن يكون وجوده مستمراً أصلاً حتى لا يتصور إلا في الوهم .

ومن الخيال قول ابن يكر الصنوبري :

وكان مخبر الشقيق إذا تصوب أو تصعد

أعلام بالوقت نشسر ن على رماح من زبرجد (٦١)

فقد شبه زهر الشقيق الأحمر على سوته الخضر ، تسعده الريح مرة إلى أعلى ، وادبته إلى أدنى تارة أخرى بأعلام من الباتوت الأحمر منشورة على رماح من الزبرجد الأخضر ، ووجه الشبه : الهيئة الناتجة من وجود شيء أحمر مبسوط على شيء أخضر ، ولا وجود لهذه الصورة إلا في الخيال ، لذا كان التشبيه بعيداً غريباً .

(٦٠) سورة الصافات : ٦٥ .

(٦١) شقائق النعمان : نبات أحمر الزهر ، وسميت بهذا لصبرتها تشبهها لها بشقطة البرق .

ومثله قول الشاعر :

كلنا بلاسط الهند نهبو تياواترند
كتيابيس عسسجد قصبها من زيرجد(٦١)

نقد شبه أزهار التيلوفر الصغير على سياتها الأخضر ، وديابيس ذات رأس كالكرة من المسجد وقصبها من الزيرجد الأخضر ، ووجه الشبه : هو الهيئة الناتجة من وجود شيء مستدير أصغر على حامل مستطيل أخضر ، فالتشبيه بعيد غريب لعدم وجود هذه الصورة إلا في الخيال .
ومنه أيضاً قول ابن المعتز :

كان عيون الترسجس النفس حولنا

سداهن درخشوهن عقيق(٦٢)

نقد شبه أزهار الترسجس النفس بدهان درخشوها عقيق ، ووجه الشبه : هو الهيئة الناتجة من اجتماع أجرام مستدار بيض مستديرة متلاصقة على شكل دائرة تحيط بدائرة أخرى حمراء ، فالتشبيه بعد غريب لعدم وجود مسورة الخشب به وعدم وجودها إلا في الخيال ، إذ لم يعمد أن يؤلف الدر على شكل السداهن ، وإن يكون العقيق هو الحشو الذي يوضع في جسوفه . (ولا يخفى عليك أن كثيراً من التشبيهات السابقة التي اكتسبت صفة البعد والغرابة تكون الشبه به لونها وهيا أو خيالاً أو مركباً عقلياً أو حسياً ، قد اجتمع فيها

(٦١) تصويب : أتجه إلى أدنى ، تصعد : أتجه إلى أعلى ، بفعل الريحاح في الحاتين ، والرائثوت : حجر نائيس تغطي أوائته والمراد هنا : الأخضر - والزيرجد : حجر نائيس وأشهره الأخضر ، وهو المراد هنا .
(٦٢) السداهن : جيع مدهن - قارورة المدهن ، العقيق : خرز أحمر .

سببا البعد ، وهما كثرة التفصيل ، ونثرة تكرار التشبيه به على الحواس ، غير أن السبب الثاني أكثر ظهورا ، إذ لا مزيد في بعد الشيء عن العيون على أن يكون وجوده مبتغا أصلا حتى لا يتصور إلا في الوهم أو الخيال .

قسلة مرور التشبيه به على الحواس :

ويكتسب التشبيه كذلك صفة البعد والفراقة إذا حل مرور الشيء به على الحواس كتول الشاعر :

والتشبي كالمراة في كف الأسفل

لما بدت من خدرها فرق الجصيل

فلقد بقى الإنسان دهره ، ويستنفذ عمره ، ولا يفلح له أن يرى خراة غير كف الأسفل . لذا كان التشبيه بعيدا غريبا . وقول ابن المعتز :

وكان البرق مصحف قمار غاططاً مرة والفتاحا

فبشبه البرق في التسلط والتفافه والتماهي والتلافة بالمصحف في بد ثاري بوالى فتحة وأطرافه . ووجه التشبيه : الهيئة الماصلة من توالى التسلط بحسبه الضاع ويساكن ، ثم يعقبه التفاض والتلازم ، وهذه الهيئة يندف وجودها ، لذا كان التشبيه بعيدا غريبا .

وتد تبي لك فيما مضى أن كثيرا من التشبيهات تتفاضل من جهة ما فيها من الدقة والتفصيل في وجه الشيء ، كذلك ينبغي أن نعرف أن كثيرا من التشبيهات تتفاضل من ناحية الجهد الذي يبذله الكاتب أو الشاعر في استحضار مسورة بدعسة غريبة لا يلتفت إليها الذهن ولا يتعلق بها الخاطر ، لذلك كان قول الشاعر في وصفه البلعج :

ولا زورديسه تزهو بزرقتهما

بين الرياض على حبر البواقيت

كثتها فوق قلوبك خضعتن بها

لوائل النار في اطراف الكبريت

أروع وأجيب من تشبيهه للرجس بداهن فرخشوهن متيق في قوله :

كان عيون الرجس الففس حوقا

مداهن فرخشوهن عقيق

على الرغم من أن المشبه به في الأول موجود ، والثاني لا وجود له إلا في الخيال ، وذلك للدقة التي بدت في الأول في التوفيق بين شيئين لا يتفقان إلا على تسهيل الندرة ، ولذا يقول عبد القاهر في معالم جبال الأول : ٢ لأنه إذ ذاك مشبه لتلك غش يرف (٦٤) وأوراق رطبة تسرى المساء منها يشف يلهب نار مستول عليه اليبس ، ويد غيبه الكلف ، ويمشي الطياع ويغشج الجبل على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يعمد ظهوره منه وخروج من موضع ليس يعمد له ، كانت صليبة النفوس به أكثر ، وكان بالشفق منها أجدر (٦٥) .

كذلك نرى الصورة التشبيهية في قول ابن طائب الرقي :

وكان اجرام التجوم لوامعا

حور نثرن على بساط أزرق

(٦٤) رف التياب : امتل وأضطربت أغصانه .

(٦٥) انظر : أسرار البلاغة من : (١٠٠ ، ١٠٢) .

أدخل في البعد والغربة من قول ذي الرمة :

كحذاء في يرح صفراد في تمعج

كانها قصة قد بسها ذهب^(٦٦)

مع كون التشبيه فيهما غريباً لتدرة تكرار المشبه به على الحواس ، لكن المشبه به في الثاني لما كان أكثر وجوداً منه في الأول ، كان التشبيه الأول أعلى طبقة وأرفع منزلة من التشبيه الثاني ، فإن النفس يرون أبداً في الصياغات قصة قد أجرى فيهما ذهب ، وطلب به ، ولا يكاد يتفق أن يوجد حر قد نثر على يسابل أرق .

تحول التشبيه القريب إلى بعيد غريب

عرفت قبياً سبق من خلال التمازج الموضحة ، والأطلة الجينية معنى القرب والبعد في التشبيه ، وليس ذلك ودواعيه ، وسر بلاغة الثاني دون الأول ، وهنا التثنية ذهني إلى أن كثيراً من الصور التشبيهية التي عرفت بقرينها لظهور وجه الشبه فيها نظراً لعمومية وكونه أمراً مجعلاً لا تفصيل فيه ، وكثرة تكرار المشبه به على الحواس حيث يتوصل إليها بمجرد النظر ويوقف عليها بلع البصر ، قد يصرف فيها ، ويدخل عليها من اللطف ما يكرها جمالاً ، فتخرج من القرب والابتذال إلى الغربة والإبداع ومن ثم لا يتوصل إليها إلا بالتمثل والفرد من الدابل والاطلة الفسك وكذلك ذهن وذلك يكون بولحد ما يلي :

١ - التشبيه الفسكي :

وهو الذي لا يجري فيه التشبيه على طريقته الممهودة وسنته المتألف من التصريح بالطرفين وإفراكهما في وجه شبيه معنى بأداة

(٦٦) البرج : أن يكون يباش العين محدثاً بالسواد كله ، والجميل الحسن الوجه ، والتمعج : الإيهام بالخلاص .

أو غير أداة ، بل بلح التشبيه ، ولهم من مضمون الكلام ومن سياق التركيب ، انظر إلى قول أبي تمام :

لا تتكرى عطل الكريم من الفنى

فالسبيل حروب للسكان العالي

فأراه يستدل على خلو بيوت الكرام من كثير من الأحوال ، من متأخر الفنى والتعرف بقسم الجبال التى لا تبقى ولا تثبت كثيرا من وجه السبيل والأمانسير ، فالتشبيه من الغرابة بحيث لا يدرك إلا بعد ترو وتثبت لأنه يفهم من مضمون الكلام ، ولعدم التصريح به ، لذا كان بعيدا غريبا .

ومثل قول أبي الطيب المتنبي :

من بين يسوق الهوان عليه ما كجرح بيت أيلام

نقد استدل على تحمل النبال لما ينزل به من هوان وما يمتريه من شسيع وعدم أكثراته بذلك ، بالميت الذى لا تؤله الجراح ، ولم يصرح بالتشبيه كما ترى ، بل أنه يفهم من مضمون الكلام ، لذا كان بعيدا غريبا .

ومنه قول ابن نواس يمدح العباس بن الفضل بن الربيع :

إن السحاب لتستحي إذا نظرت

إلى نذاك ففاسسته بما فيها

فأنت تعلم أن تشبيه الجواد بالسحاب ، تشبيه قريب مبتذل لظهور وجهه الشبه فيه ، لكن الشاعر أخرجه من القرب إلى البعد ، بعدم التصريح به ، وما توجهه من أن السحاب حين حسان يستحي ويكجل حيانا بهلكن بين أيهسه وفيهني المذوح .

ومنه أيضاً قول المتنبي في مدح هارون بن عبد حمزير:

لم تترك نالك السحاب وإليها

حيث به غصيبها الرخضاء

لم تلق هكذا الوجه شمس نهارنا

إلا بوجه ليس فيه حسياء

فيقتضيه بالسحاب في البيت الأول تريب لها عمت ، وقد أخرجها إلى القرابة عدم التصريح به ، ولهذه العلة الطريقة التي ظل بها الشاعر لتزول النار من السحاب بأنه من أشرف الخبيث التي أتت به نتيجة غيظه من كرم المدحوج .

كذلك التشبيه بالشمس في الجسد والجمال في البيت الثاني من التشبيهات القرينة ، وقد أخرجها إلى البعد والقرابة ، عدم الإتيان به صريحاً ، وما توهمه الشاعر من أن الشمس هي حساس ، قد أصابها الخجل والحياء عندما رأت وجه المدحوج وتطلعت إليه من بعيد .

ومن التشبيهات الشبيهة التي تتطلب مجبوءاً عكسياً في التوضيح عتبه والإحساس بما لها من روعة وجمال خلافاً ما سبق قول الجصري :

ضحك إلى الإبطال وهو يروعه

ولسيف حصد حين يسطو وروقه

وقول المتنبي :

ومن الخير بقاء سيك عتي

أسرع السحاب في السير الجهاد (٦٧)

(٦٧) السحاب : السماء ، والجهاد : السحاب لا ماء فيه .

وقول ابن نواس :

سيذكرني قومي إذا جد جدّهم

وفي الليلة الظلماء يفقد البحر

وقول ابن المعتز :

ترجو القجاة ولم تسلك مسالكها

إن السفينة لا تجري على اليبس

وقول البحتري في وصف الخلاق مدوحه :

وقد زادها إفراط حسن جوارها

خلّاق أصفار من المجد خيب

وحسن دراري الكواكب أن ترى

طوالع في داج من الليل غيب

وقول ابن تمام :

أصبر على مضى الصود فإن صبرك قاتله

فلتأمر تاكل بعشها

إن لم تجد ما ناكه

وقال : ليس الحجاب يقي عنك أي أملا

إن السماء ترجى حين تحجب (٦٨)

وقول ابن الطيب :

فإن تقق الأنعام وانت منهم

فإن المسك بعش دم الفـزال

(٦٨) يقصد بالحجاب هنا : الحجاب الأبر المذوح عن الناس ، وتحجب : تخفى عن الناس بالغمام .

٢ - التشبيه المطلوب :

كذلك يكتسب التشبيه وصف البعد والغربة بمكسبة ، وهو جعل
الشيء مشبها به ، بمالقة في كنهه وتعامه ، ودلالة على أنه أقوى وأظفر
في وجه الشيء ، ومنه قول محمد بن وهيب الحميري :

وبدا الصباح كان غموته

وجه الخليفة حين ينفذ

فالعرف جار على تشبيه الوجه الجميل بالمسيح ، وإن كان التشبيه
موسم مبتدأ لا تكرر مرور المشبه به على الحواس ، إلا أن الشاعر أخرجه
إلى البعد والغربة بادعاء أن وجه الخليفة أقوى من الصباح في الجبال
والإشراق ، وإذا جعله مشبها به ، وأصبح التشبيه بعيدا غريبا لا ينال
إلا بالتدبر ولا يوقف عليه إلا بالتأمل والتبصر .

وقال البيهقي مفعولا :

في طلعة البدر شيء من محاسنها

والتضبيب نصيب من تنهيا

تشبيه الوجه الجميل بالبدر ، والغرام المحتل بالنفس الرطب
تنبيه ونسج وقريب ، لكن الشاعر أخرجه إلى الغربة والبعد بحسن
تشبيه بمالقة وأدعاء أن المشبه أدخل في وجه الشيء من المشبه به ،
ولم يكتف بذلك ، بل ادعى أن البدر غيبه بعض حسنها ، وأن النفس غيبه
شيء من اعتدالها ، وبذا صارت التشبيه بعيدا غريبا .

ومنه قول ابن أبيك بدح أبا سعد على بن محمد بن خلف الهذلي :

أيا رياض الحزن من أبرق الحمى

نسبك بسروني ووصفك بتحل

حكيت يا سعد فشارك نشره

ولكن له صدق الهوى ولك المل (٦٩)

لنصيبه الرائحة الطيبة برائحة الرياض تشبيه قريباً لظهور وجهه
الشبه ووضوحه ، لكنه أخرجه إلى البعد والغربة بهذه المسئلة
الطيبة ، إذ عكس التشبيه ، واتهم الرياض بالسرقة ، ووصفها بالذبول
والجفاف ، وأثبت لمدحجه صدق الهوى والبقاء على العهد ، وبذلك صار
التشبيه من النخبة والقدرة مكان .

٢ - التشبيه المشروط :

كما يتكسب التشبيه صفة البعد والغربة ، ويرتفع عن درجة
الإشباع والإشغال إلى قمة الجهد بتقيد المشبه أو المشبه به بتجسود ،
يتوقف عليها تمام التشبيه ، انظر إلى قول رشيد الدين الوطواط :
عزمته مثل التجووم ثوابها

لو لم يكن للتقنيات أصول (٧٠)

عزى أن التشبيه ولنسج وظاهر ، لاستيفائه أركانه ، وقد أخرجه
إلى البعد والغربة بهذا التقيد الذي قيد به المشبه به ، وهو
عدم الزوال بالنسبة للتجووم حتى يتحقق التشبيه بينها وبين عزمته
المدحج ، ولما كان هذا التقيد خياليا بالنسبة للتجووم ، حيث أنه
لا يقصد له أي مراءى العين دائماً وبني كل حال ، كانت عزمته المدحج
أنشد والثنوى من الكواكب لأنها دائمة لا تزول ، فهي ثواب أثناء الليل
وأثناء النهار ، ومنه قول أبي تمام :

(٦٩) الحزن : ما غلب من الأرض ، أبقى الحصى : مكان ، النشر :
الرائحة ، المل : السام .
(٧٠) جمع ثاقب : وهو المسر ، أمول : غروب .

مهسا الوحش إلا ان هانا اوانس

قنسا الخط إلا ان تلك ذوابيل

فلو لم تكن هذه القود لكان التشبيه قريباً ، لكنه خرج مهسا إلى البعد والغربة لأن تشبيه العميون الواسعة يعبرن المهسا تشبيه قريب ، وكذلك تشبيه الفسوم المعتدل بالريح ، غير أن وصف المشيه في الأول بالأنس ، ووصف المشيه به في الثاني ياذبول جعل المشيه في كليهما أربع طبقة من المشيه به وصار التشبيه بديعاً طريفاً .

كذلك قول بديع الزمان الهمذاني مادحا :

يكاد يحكيك مسوب الفيت حسكيا

أو كان طلق المحيا يطر الذهبا

واليدرو لو لم يقب والشمس لو نطقت

والأسد لو لم تصد واليحر لو عطا

فتشبيه الجواد بالغيث والبصر والحسن العظيمة باليدرو والشمس ، ولشجاع بالأسد من التشبيهات القريبة والفسحة التي لا تحتاج إلى معاناة في تأملها والتوقف عليها ، لكنها خرجت إلى الغربة ، واكتسبت مسافة البعد بهذه القود ، ولك الشروط التي يتوقف عليها تمام التشبيه .

نعدد التشبيه :

يكتسب التشبيه كذلك سمة البعد والغربة بتعدد المشيه به ، أو بتعددتها معاً ، وبذا يرتفع عن الإبهال والإيهان إلى العلو والرفعة لما يحتاجه من التذكير والتأمل . يقول البحرى :

(٧١) الملسد : المنظم ، البرد : حب الغمان ، الأفاح : جمع الخوان وهو زهرة وورق أبيض صغير يشبه الأسنان في لونه وشكله .

(م ٥ - دروس تطبيقية)

كثما يسهم عن لؤلؤ ، تشد أو برد أو اقحاح (٧١)

تشبيه الاستان باللؤلؤ والبرد والاقحاح تشبيه قريب مبتذل ، لكنه خرج إلى البعد لتمدد التشبيه بتمدد المقية به ، وبذا صار طريفنا ، واغرب منه قول امرئ القيس في وصف فريسة :

له ايظلا ظبي وساقا نعلانية

وارخاء سرحان وتقريب تنقل (٧٢)

لقد جمع الشاعر بين مجموعة من التشبيهات تعتمد فيها التشبيه والمقبة به ، فقد وصف خاسرة الفرس بالشهور إذ شبيهها بما هو مثل في ذلك وهو الظبي ، كما وصف سائيه بالذئبة ، حيث شبيهها بالأصل في ذلك وهما ساقا النعلانية ، كما وصف جريه باللين والسرعة حيث شبيهه بالأصل في ذلك وهو الذئب ، ووصفه بالسرعة المنتظية حيث شبيهه بالأصل في ذلك وهو الثعلب ، وبذا صار التشبيه جيلا بديعا .

المسرد بالبعد :

ونحن نتحدث عن بعد التشبيه وقرابته وأن ذلك من عوامل بلاغته ومن اسباب رفعة نيتيقي ألا يخطر ببالك أن المراد بالبعد ما يكون منشؤه الغيوض في فهم المعاني لمسا في الأساليب من تعقيد والتواء وتعمية ، بل إنه البعد الذي ينشأ عن لطف المعاني ودقائها ، والبراعة في ترتيب معضها على معنى ، ولذا فإن البديع من التشبيه ما كان من هذا النوع البعيد - لقرابته ، ولأن الشيء إذا نيل بعدد المطلب له ، والإتيان إليه ،

(٧٢) ايظلا : تنقية ايظلا ، وهو الفألوسة ، وجمع على ايظال ، الإرخاء : شدة المعنو ، السرحان : الذئب ، التقريب : ضرب من المعفو ، التقتل : التعلب .

كان ثيلته حتى ، وموتمه من الناس الملك ، وبالمسرة بولي ، ولهذا
ضرب المثل لكل ما لفت بوقمه ببرد الماء على الظما كما قال :

وهن ينبلن من قول يصبون به

مواتج النساء من ذى الفلة الصادي

ومما سبق تدرك بكافة التشبيه من البلاغة ومثلته من البيسان ،
ولم تستقم الصدق من كل ما يتصل به ، وإنما تدبنا لك بعضا من
تيلاده ، وطرفا من شواهد لتدرك روعته وتحسن قبته ، وتلف على
أثره وفائدته (٧٢) .



(٧٢) ونقضي بعد ذلك إلى واد آخر من أودية البيسان بخاصة واللغة
بعبارة وهو الجار بنوعيه : المعلى واللغوى ، ومن اللغوى : المرسل
والاستعارة التي تقوم على التشبيه ويعد أملا لها .

المجسرات

قيمه البلاغية - انواعه

من عوامل قوة لغتنا ، وثراتها بالمعاني والتركيب المجسري عظم
يقبح السبيل ويهين الفرصة اسم الكتاب والادباء والشعراء والخطباء
ليبرزوا مما يدور بخيالهم ويمتدح في صفوفهم ويجري في احاسيسهم ،
فلا يفتنون عشقة في التعبير ، ولا خرجا في التصوير ، وإنما يمدحون المجاز
يكل ما يشاءون ويجمع ما يريدون ، وتفضلا عن هذا فإنه يكتب
الأسلوب جبالا ، ويضفي عليه روعة ويهدهد ، ويمكن المعاني من
الاذعان ، ويثبثها في الصدور ، لذا كان مجسلا رحبا ، وميدانا خصبيا ،
وحفلا خصيبا للنفوس بين الادباء والشعراء . وهو متعدد الأنواع ، ومتنوع
الأنواع ، وبالنماذج التالية سنتطرق على أنواعه ونثبت من أوله .

يقول ابن العميد :

قالت تطلعتي من الشمس نفس تحدي إلي من نفسي
قالت تطلعتي وهن عجب شمس تطلعتي من الشمس

فالشمس قد وردت مرتين : أولا بمعنى الشمس الحقيقية المعروفة ،
وثانيا : أريد بها إنسان يشبه الشمس في القسياء والإشراق ، بقرينة
تطلعتي ، لأن الشمس الحقيقية لا تظلل عند استعملت الشمس إذا في غير
معناها الحقيقي للمعاني المشابهة بين ما وضعت له وما استعملت فيه مع
قرينة ما تحسه من إرادة المعنى الحقيقي لها ، ولذلك نسمى : مجسرا
بالبلاغة .

ويتول المتنبي :

ملكه إيراد على مسابقة - أمد منها ولا أمد لها (١)

فلا يراد بالإيراد المعنى الحقيقي لها في كلام المتنبي ، وإنما يراد منها نعم المدوح عليه التي تعد الأيادي سبباً فيها ، فالإيراد يستعمل في غير معناها الحقيقي ، لكن ليس لعلاقة المشابهة كما مر ، إذ لا مشابهة بين التعم والإيراد ، وإنما لعلاقة السببية وذلك ما يسمى بالجسر المرسل .

وتدرك أن التجوز فيها سيق من الاستعارة والمجاز المرسل كان في الإنشاء وذلك يعرف بالجسر الثقوي ، فالجسر اللغوي : هو التلميح المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة تأتية من زيادة المعنى الحقيقي ، وهو يكون استعارة إن كانت العلاقة التلميح ، ومجازاً مرسلًا إن كانت غير المشابهة .

وقد يكون التجوز في الإنشاء والتركيب ، انظر إلى قول المتنبي يصف ملك الروم بعد أن هزمه سيف الدولة :

ويشوي به المكاز غير الكبير تاليساً

وقد كان يابى حتى لشتر أجرداً (٢)

(١) أي إن نعم المدوح على واسمعة ، وأنا واحدة منها ، ولا يمكن من تمسدها .

(٢) المكاز : عصا في طرفها زوج ، وقوله : مشي الشتر أجرداً : أي مشي جواد الشتر أجرد ، والاشتر من الخيل : الأجر والأجرد : التعبير الشمر ، وقول : أنه أدلم في ديس الرهبان وصار يمشي على المكاز تالياً من الحسب بعد أن كان لا يرغب مشي الجواد الأشتر ، وهو أسرع الخيل عند العرب .

فقد استند الفعل إلى غير ما حقه أن يستند إليه ، فالمكسر لا يمشي ، وإنما يسير صاحبه لكن لما كان المكسر سببا في المشي استند الفعل إليه ، فالتجوز في الإسناد ، ولذلك يسمى هذا اللون من المجاز بالمجاز المعطى أو المحكى .

فالمجاز نوعان : لغوي ومعنى ، وللفقوى : مرسل واستعارة ، وسنبدأ بالمجاز المرسل .

المجاز المرسل

عزف المجاز المرسل بأنه اللفظ المستعمل في غير معناه لملافة غير المتكلمية ، وسمى مرسلًا لإرساله أي إبطائه عن التتبع بملافة خاصة . وعلاقاته متنوعة - ذكرنا منها السببية وعرفت مثالا لها ، وبين البنية المجاز المرسل لملافة السببية قوله تعالى : (قد بدت البقضاء من أهواهم) (٣) فالمجاز في لفظ البقضاء - وقد تجوز بهما عن الكلمات الدالة على الكراهية ، والقرينة : « بدت » والملافة السببية ، وسر المعدول عن الحقيقة إلى المجاز هو : المبالغة في الكلام الدال على العداوة ، وتضويره بصورة البقضاء ، للأشعار بأن الذي بدأ من أهواهم هو ذات البقضاء ، على الرغم من محاولتهم إخفاءها في صدورهم ، وذلك دليل على أنها قد تبكت بن قنويم ، وملأت نفوسهم ، حتى أبت إلا أن تفيض فتصدر من تشابها أهواهم ، فكانه قيل : قد بدت الكلمات الدالة على الكراهية من أهواهم ، لأن سببها وهو البقضاء قد ملا قنويم ، وذلك هو تأويل قول البيهقيين : إن المجاز كدموى الشيء بالبيئة والبرهان ،

(٣) سورة آل عمران : ١١٨ .

لأنه يؤكد المعنى ويقرره ، ومن جهة ثانية : نجد محور السبب بصورة السبب وأطلق اسمه عليه ، وفي ذلك تفسير شديد من الخلق مثل هؤلاء بطلانة ، ومن جهة ثالثة ، في هذا الإيجاز الرائع نفترق بين قولنا : « قد بدت الكليات الدالة على الكراهية بن لواءهم » - وبين قول الله عز وجل : **قد بدت البغضاء بن لواءهم** .

ومن علاقة السببية قولك : رمت حيواناتنا الطير - أي التيسات الحادث بالغيت وقول السبيل :

تسيل على حد السيوف نفوسنا

وليس على غير السيوف تسيل

فلنفوس مجاز عن الدماء التي تسيل ، لأن وجود النفوس في الأجسام سبب لوجود الدماء فيها - وقول الشاعر :

وما من يد إلا يد الله فوقها

ولا ظالم إلا سيلى بالقلم

فاليد في الموضعين مجاز عن النبوة أو القدرة لأنها سبب فيها .

وقول المتنبي :

رايتك محض العلم في محض قدرة

ولو شئت كان الحسام منك المهتدا(١)

نجد اطلق المهتد وأراد الحزب ، لأن السيف آلة الحرب ونسب

لهما .

(١) المحض : الناص ، والمهتد : السيف الهندي ، والمراد هنا الحرب يقول : رايتك خالص العلم في قدرة خالصة لا يتوهمها مجز ، ولو شئت أن تجعل الحرب مكان الحسام لتمكنت .

وتقولك : تفرقت كلمة القوم ، أى آرائهم ، فتجوز بالكلمة عن الآراء لأن الكلمة سبب في ظهور الآراء .

المسيبة : كقولك ابلطت المساء نهبانا ، أى ماء تسبب منه الليث ، وتناولت كأس الشفاء ، أى الدواء ، وبه قول الله عز وجل : (يسأل لكم من السماء رزقا) (٥) أى مطرا ، تسبب عنه الرزق ، وقوله : (وأعدنا لهم ما استطعنا من قوة) (٦) نقد أريد من القوة الأسلحة بكل أوائها وأشكالها ، وسر العدول عن الحجة لا يقدر ذلك ، هو حث المسلمين على تجهيز جنودهم وتزويدها بأحدث الأسلحة وأشدّها لشكون جوشهم الذى الجوش فى العالم ، قدفى للإسلام مكانته وتقوم له هيته وعزته ، وتفتننا من هذا الأسلوب ثاية فى الأيجل والدقة .

الكلمة : كذلك : شربت ماء النال أى بعثته ، وسكنت مصر أى لما لا ملها بقرينة شربت وسكنت ، وكقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام : (وأنى كلفا دعوتهم لنفقر أوم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبرا) (٧) فاذى يجعل فى الأذان هو الأناى لا الأصابع ، وأند الجار المبالغة فى إغراقهم وتردهم وعدم إستجابتهم لدعوة نوح عليه السلام ، ومثله قوله عز وجل : (يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصوايق حسر الموت) (٨) نقد المثلث كلمة الأصابع وأرند ملها الأناى بقرينة : يجعلون ، والساد الجار : المبالغة ودقة التصوير للصالح ، وما هم عليه من رعب

- (٥) سورة طه : ١٣ .
(٦) سورة الأنفال : ٦٠ .
(٧) سورة نوح : ٧ .
(٨) سورة البقرة : ١٧٠ .

وعلق بظلمان القلوب ، وليس أدل على ذلك من أنه أباد أن هؤلاء
المتألفين يحاولون من حول الرموز الفلسفة والصواعق المديرة أن
يدخلوا كل الأصابع في آذانهم حتى لا تسمعهم تلك الصواعق فتبذلهم .

وقوله تعالى : (يقرءون القرآنهم ما ليس في قلوبهم) (٩٦) فحجوز
بالأقواء عن الأمانة لمصلحة الكتابة .

الجزئية : كاطلاق المعنى على الجانوس في قولك : بك الحاكم
عبوته في المدينة ، ويعلم أن المعنى أظهر عضو يكون به التجسس ،
فلا يكون باليد ولا بغيرها ، فماتت كلها الشخص كله ، ومنه قوله
تعالى : قم للكل إلا قليلا (٩٧) أي مثل : وقول النبي ﷺ : (من قام
بعضنا ليماننا واحتضنا غفر له ما تقدم من ذنبه) أي من صلى .
وقولك : لقي الخطيب كلمة كان لها تأثير الأثر على النفس المستمعين أي
خاتمة ، وقوله تعالى في شأن موسى عليه السلام : (خذ بيديك إلى
أمك كي تقر عينها ولا تحزن) (١١) فاحسبوه والاستقرار للنفس
والجسم ، فاطلاق العين عليهما اكتفاء بالجزء عن الكل .

وقولك : ساجزوك على ما قدمت بذلك ، أي بما عطلت ، فغير
بالسد وهي جزء من الكل . ومنه : الإسلام بحث على تحرير الرقاب ،
أي العبيد ، وغير بالرقاب ، لكونها عادة موضع وضع الأقبال في
العبيد المسورين (١٢) .

(٩٦) سورة آل عمران : ١٦٧ .

(٩٧) سورة الزمل : ٢ .

(١١) سورة القصص : ١٣ .

(١٢) ونلاحظ في جميع الأمثلة التي استعمل فيها الجزء مقصودا منه
أكل أن لذلك الجزء أهمية وقيمة خاصة ونطقا وثيقا بالكل وليس
أي جزء .

اعتبار ما كان : كتوك : من الناس من ياكل الفصح ومنهم من ياكل الذرة والشعير . فالمراد بالفصح والذرة والشعير الخير الذي كان له حسا او ذرة او شعيرا ، فالمسألة اعتبار ما كان ، ومنه قوله تعالى : (وآتوا اليتمى أموالهم) (١٢) فاليتم هو الصغير الذي مات أبوه ، ولا يعمل ان يعطى له المال وهو صغير ، بل الواقع ان الله يأمر بامتلاك الأموال من وصلوا سن الرشد بعد ان كانوا يتيمى ، فكلمة اليتمى هنا مجاز لانها استعملت في الراشدين .

اعتبار ما سيكون : كتوك : سألوه نارا ، أى حطبا او وقودا يقول إلى نار ، ومنه قوله عز وجل : (كتب عليكم التصامى فى القتلى) (١٤) ففى القتلى : مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون ، لان التصامى لم يفرض حين قتل قبل نزول الآية الكريمة ، وإنما فرض حين سيقول بعد نزولها ، وقوله : (إلى أرثى أعمس خمر) (١٥) أى عتيا يقول عصيره إلى الخمر ، فالخمر لا تعمس لأنها سائلة ، وإنما الذى تعمس هو العنب ، فيطلق الخمر وأرادة العنب مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون ، وقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام : (انك انظرهم يشربوا عيانك ولا ينادوا الا فاجرا كفرا) (١٦) أى سائرا إلى التهور والكفر ، لان الاولاد حين يولد لا يكون فاجرا ولا كفرا ، لكنه قد يسيير إلى ذلك بعد الطفولة وعند الكبر .

- (١٥) سورة النساء : ٢ .
(١٤) سورة البقرة : ١٧٨ .
(١٥) سورة يوسف : ٣٦ .
(١٦) سورة نوح : ٣٧ .

الحطية : كتوله تعالى : « وأبطل القرية التي كُنا فيها » (١٧) بعد أن طلق القرية وأراد أهلها ، وقولهم : قرر مجلس الوزراء كذا فالمجلس مكان الجلوس ، وهو لا يقرر شيئاً ، وإنما السدى يقرر هم الوزراء ، معنى كلمة المجلس مجاز مرسل علاقته الحطية ، وتلك : سرق الأمن المنزل ، فالسروق ما يكون بالمنزل لا المنزل نفسه .

الحالية : كتول التثنية في ثم كانوا

إلى نزلت بكذابين فسيتم

عن القرى وعن الترحال محدود (١٨)

أى : نزل بيلد كذابين ، لأن الكذابين لا يتزل بهم ، وإنما يتزل بمكائهم ، فالملاحة الحالية ، وتوله تعالى : « وأما الذين أبغضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالفون » (١٩) أى في جنه ، لأن الرحمة معنى من المعلى والمعنى لا يحل الإنسان فيه ، ولما كانت الرحمة حالة في الجنة تجوز بها عنها .

الإية : كتوله تعالى : « وأجعل في لسان صدق في الآخرين » (٢٠)

(١٧) سورة يوسف : ٨٢ .

(١٨) محدود : أى ممنوع ، معنى أن الذي نزل بسماحتهم كذابين في وعودهم ، ضياعهم ممنوع من الطعام ليلهم وهم يتمتعون الرحيل حتى يظن الناس فيهم الكريم .

(١٩) سورة آل عمران : ١٠٧ .

(٢٠) سورة الشعراء : ٨٤ .

أي ذكرنا عصيًا ، لأن اللسان آلة الذكر الحسن ، وقوله : « وما أرسلنا

من رسول (إلا بلسان قومہ ۲۱) ای بلغۃ قوم (۲۲) .

✿ ✿ ✿

(٢٧١) سورة إبراهيم : ٤ .
(٢٧٢) وللجبار المرسل ملائكة أخرى عدا ما سبق ، وإنما ذكرنا بعضاً منها ، وللتحدث بعد ذلك من الفروع الأخرى المجلس الثماني الذي يكون المعالجة فيه بين المؤمنين الجليلي والجاري المشايخة وهي : الاستشارة .

الاستعارة

مؤلفها من البلاغة :

وتت من خلال التلحاح السابقة على بوايت روعة الجاز المرسل وأسرار جماله ، وتأخذ الآن في تتبع الخلس البلاغية والأسرار البيانية أركان أصيل من أركان البيان ، والشق الآخر للجواز اللغوي ، وهي الاستعارة التي تضي على الأساليب بيانا وروعة .

وقيل ان تلخذ من تعريف الاستعارة وما يتصل بالتعريف من الكلام على أنواعها ووجه ارتباطها بالمجاز وغير ذلك من الأمور التي تتعلق بها فاننا نعرض بين يديك مجموعة من التراكيب التي وانها الاستعارة بهجة وجمالا .

ولنبدأ بالقرآن الكريم معجم البلاغة وكثر الفصاحة ، والذي لم يتمكن العرب وهم أهل اللبس والفصاحة ان يأتوا بمسورة من مثله ، ثم تتبع ذلك يحتاج من الاستعارات من كلام سيد البلاء محمد ﷺ الذي على كلامه كلام رب العزة في البلاغة والبيان ، ونعرض بعد ذلك لبعض الاستعارات التي وانها الاستعارات .

لمن ذلك قول الله عز وجل يخاطبنا جيبه ورسوله محمدا ﷺ طابا إن يجهر بالندوة إلى دين الله وأن يتجاوز نطاق الأسرار إلى الإعلان الظاهر والإعلام الواضح . فليدع بها تلمز وأعرض عن المشركين (١) المراد منه : بلغ ما أمرت به تليفا بينا واضحا لا يتطرق إليه الجور .

(١) سورة الحجر : ٩٤ .

وقد استعيد هذا المعنى من التعبير بلفظ : اصعد ، ونلاحظ أن لها معنيين : أحدهما وهي مفردة بعيدة عن التركيب ، والثاني المعنى الذي يفهم من سياق التركيب ، فمعناها مفردة : الكسر كصدع الزجاج والمعنى الذي يحدده التركيب هو التبليغ الواضح المؤثر ، فاستعمال الصدع في التبليغ ليس لاستعمال غير حقيقى كما ترى ، وسر العدول عن الحقيقة وهي : بلغ إلى الجاز وهو : فاصدع . هو المبالغة في التبليغ وأن يكون مصحوبا بنية وثباتا عن تسلط وغوة ، لهذا كان التعبير المجازى (فاصدع) ليلغ من التعبير الحقيقى (بلغ) لأن الصدع بالامر لابد له من تأثير كتأثير صدع الزجاج ، والتبليغ قد يصعب حتى لا يكون له تأثير فيصير بمثابة ما لم يقع ، وقد كان هذا التجاوز لعلاقة بين المعنيين ، تلك العلاقة هي المشابهة ، إذ يتشابه التبليغ والصدع في التأثير والإيصال إلا أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاج ليلغ .

وقال تعالى : « إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلَتَكُم فِي الْجَارِيَةِ (٢١) » أى كثر وفاض فيضنا شديدا ، أماد ذلك التعبير « يطغى » المستعملة في غير معناها الحقيقى ، ولا تؤدي كلمة : زاد أو علا أو كثر وغير ذلك من الألفاظ المستعملة في معانيها الحقيقية هذا المعنى مما يشهد بفصل المجاز ، والعلاقة بين الزيادة الحقيقية والطفان المجازى هو التشبيه في تجاوز الحد ، وهما خروج الطغيان عن معناه الحقيقى الموضوع له في اللغة إلى المعنى المجازى المراد وهو تجاوز الحد من إغراق الطغيان على الماء ، فقد جرت العادة على نسبة الطغيان إلى الأشخاص ، وقيل عز وجل :

« شربت عليهم الذلة أينما نفضوا إلا بحول من الله وحول من الناس » (٣)

يريد الله عز وجل أن يبين أنهم قد عاينوا في ذل وأن الذل أصبح لهم ثلثاً لهم فعبّر « بشربت » لأن الشرب في الأصل : شرب الطين حتى الحائط يلمس به ، أو شرب الخبث على من فيها ، وأو قيل : حصلت مكان « شربت » لما تحقق ذلك المعنى ولما كانت تلك الفائدة ، فالتعبير « بشربت » أمد ملازمة الذلة لهم ، لهذا كان المجاز في : « شربت » أبلغ من الحقيقة في « حصلت » لما يفيد من الدلالة على تثبيت ما حصل عليهم من الذلة كما ثبت الشيء بالشرب لأن المتكلمين به محسوس ، والفسير مع ذلك يتيقن من الإذلال والفتن وفي ذلك شدة الزجر لهم والتنبيه من حيلهم ، والعلاقة بين الحصول والشرب كما ترى هي : الثبات والملازمة والقياس على أن المراد من الشرب الثبات والملازمة هو : إقامته على : الذلة والمسكنة فهما معنيان لا يكون فيهما شرب إلا على سبيل التجوز ، وتعالى : « واشتعل الرأس شيباً » (٤) أي كثر شيب الرأس كثرة زائدة ، وانتشر انتشاراً يسمي ثلاثيه كاشتعل النار أمد ذلك التعبير « يشتعل » — ودل على إنها مستعملة في غير معناها الحقيقي استلذاً إلى الرأس لأن الرأس لا يشتعل ، وإنما يكون الاشتعال للنار (٥) ، وتبين فضل المجاز وقوته البلاغية في هذا التعبير لو وضعت مكان الاشتعال ما يرادفه على وجه الحقيقة ، وهو كثر أو انتشر — فلا يمكن فهما بلقنا على وجه الحقيقة أو أكثرنا من ذكر الترادفات أن يؤدي التعبير ما يؤديه المجاز ، والعلاقة بين الانتشار الحقيقي والاشتعال المجازي هو الكثرة والزيادة وهي

(٣) سورة آل عمران : ١١٢ .

(٤) سورة مريم : ٤٢ .

(٥) وذلك مجاز آخر في إسناد اشتعل « للرأس » ، وهي ليست الفاعل

فقطاً في الاشتغال أكثر لأنها لما كانت تزايد تزايداً سريعاً مسارت في الانتشار والإسراع كاشتغال النار ، وقال تعالى مصوراً انتشار الحق مهما قل أتيه على الباطل مهما كثر أتيه « بل نقذف بالحق على الباطل نيدمة فإذا هو زاهق » (٦٨) فكلاً من : « نقذف » و « يدبغه » قد أريد بهما غير متناعماً الحقيقي بدليل تعللها بالحق والباطل ، إذ الحق والباطل الفسار معقولان لا بد أن بينهما قذف ودخ إلا على سبيل التجوز ، ولو غير القرآن بما يرافف القذف والدخ من الألفاظ المستعملة في معانيها الحقيقية لفسال : بل نورد الحق على الباطل نيدمة ، غير أن ذلك كما ترى لا يفي بكتيل مما يمدنا به التعبير القرآني المجازي ، لأن في القذف دلالة على القهر ، لأن إذا قلت : قذف به إليه ، فلهذا معناه القاء إليه على جهة الأكرام والقهر ، فالحق يلقى على الباطل فيزله على جهة القهر والاضطرار لا على جهة الشك والازدواج ، وكذلك حين يدبغه ألغ من يدبغه لما في يدبغه من الدائير فيه فهو الظاهر في الكتابة وأعلى في تأثير القوة .

وقال تعالى : « عذاب يوم عقيم » (٧٨) أي مهلك لا يبقى شيئاً بعده استتيد ذلك من لفظ : « عقيم » الذي دل وصف اليوم يسه على استعماله في غير معناه الحقيقي ، لأن المقم هو عقم الإيجاب ولا يتعلق بالإسلم أو العذاب من الأسور المعنوية إلا على سبيل التجوز ، وتبين قيمة المجاز وأثره في بيان ما في هذا اليوم من عسول أو عدت إلى التعبير الحقيقي وهو : لا ينتج خيراً ، فاملافة بينهما واضحة في تشابهها في الحداث

الحقيقي ، وإسما هي مكان الاشتغال ففي الآية مجازان : لشوى في « اشتغل » وعكس في « واشتغل الرأس » .
 (٦) سورة الأنبياء : ١٨ .
 (٧) سورة الحج : ٥٥ .

الملاك ، إلا أنه في الأول اعظم وأبلغ لأنه دلّ على أن ذلك اليوم لا خير بعده للمعذّبين ، عقيل : يوم عظيم ، أي لا يتجّ خيرا .

وقال تعالى مصورا كمال قدرته في حركة الليل والنهار اللذين يسيران وفق نظام نسوي وتكون دقيقا يرتانمان بدون توقف ، يتم ذلك كله بتسلسل وتبدل فاقول الظلمة زويدا زويدا ليعقبها اشراقه الصبح وتغرب الشمس لحظة بلحظة ليتم الظلام الكون « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون » (٨١) فقد سورت كلمة (نسلخ) هذه العملية التي تتم يوميا وتعد أكبر دليل على قدرة الله عز وجل ، وإيقاع السلخ على النهار والليل برهان على أنه مستعمل في غير معناه الحقيقي ، فهو في الحقيقة كسلط الجسد وإزالته عن الذبيح ، والعلاقة بين المعنيين تراها متينة في الإزالة التي تتم شيئا فشيئا ، فاشبه واضح بينهما وهو في المجازي أكثر وضوحا وبلاغة لأن السلخ إخراج شيء إما لا يسهو وعسر التزاخسه منه لاندحابه به ، فتكذلك قياس الليل ، فإثر تهيئة التعبير بالسلخ في إسادة ما سبق من المجازفة في عملية الفصل بين الليل والنهار على ما عرفت ومن أوضحها وتبينها بتصويرها يمتلئس نراه الميون وتدرسه الأيصار ، إلى جانب الوجارة في التعبير وتبين ذلك جليا لو عمت بالتعبير إلى سبيل الحقيقة فإني نقول : وآية لهم الليل يقول نفسه النهار يبطه وتبدل ... فاعلمنا من ذكر ذلك التعبير بالسلخ .

ومن هذا الجانب ، جانب الآيات التي تصور عبادة الله الباهرة في تصرف الكون وتنظيمه قوله عز وجل : « والصبح إذا نفّس » (٩) فإستند

(٨) سورة ناس : ٣٧ .

(٩) سورة التكاوير : ١٨ .

التنفس إلى ضمير المسيح أمادنا أنها لغبر مفتاحا الحقيقى لأن التنفس من خواص الحيوان أو النبات ، وبالموازنة بين هذا التعبير المجازى « تنفس » وبين مرادفه الحقيقى وهو : « بدأ التنفس » ، يبين الأثر الذى أفسده المجاز على الأسلوب ، وإن كانت العلاقة بينهما فى التشابه فى الابتداء ، إلا أننا نراها فى التنفس ليغ لما فيه من الترويح عن النفس ، وقال تعالى : « وإذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيرهم ... الآية (١٠١) » فيتبدنا تعلق : الخوض بالآيات على أنه قصد به غير معنى الحقيقى ، لأن الخوض لا يكون إلا فى الماء ، وتبين الأثر البلاغى للمجاز بالموازنة بين مرادفه الحقيقى وهو : « يستهزئون بآياتنا » ، كتعبير بالخوض أمام المبالغة فى عدم احترامهم لآيات الله وذكرها بالسوء ، كما أنه أكثر وضوحا على ذلك لإخراجه إلى ما تقع عليه المساعدة من الملابس لأنه لا تظهر ملابس المعانى لهم كما تظهر ملابس المساء لهم .

وقال تعالى : (يا ويلتا من يعثنا من مرقنا) (١١) للرقاد النوم وهو مستعمل فى غير معناه الحقيقى ، وحقيقته من مهلكا ، والمجاز يلى لأن النوم لظور من الموت ، واليقظة أوضح من الإحياء بعد الموت ، فالإنسان الواحد يتكرر عليه النوم واليقظة وليس كذلك الموت والحياة ، والعلاقة بين النوم والمهلك واضحة فى التشبه فى التمداد الأكثر فى كل .

وقال تعالى : (وتركنا بعضهم يومئذ يرح فى بعض وتلخ فى

الصور فجميعها (١٢) أتتوج في الأصل مختص بالماء ، لذا عرف
عن معناه الحقيقي وأريد به معنى آخر مجازي ، وبالموازنة بين
مرادفه الحقيقي وهو يخلط يبين قسمة الجبار والره في تصوير شدة
اضطرابهم والمبالغة في حركتهم مع توضيح المعنى بإبرازه في صورة
ملبوسة مشاهدة ، لأن قوة الماء في الاختلاط اعظم ذلك إلى جوار
الابصار الذي تجلى عن وجود الجبار والملافة واضحة بين المعنيين
وهي : التشابه في الحركة والاضطراب وإن كانت في الموج اعظم كما
بان لك . وقد تعالى (ولا يظلمون شيئا) (١٢) (ولا يظلمون شيئا) (١٤)
فكل منهما مستعمل في غيره معناه الحقيقي ، وينبذان المبالغة في تلى
وتوقع أدنى شيء من الظلم للثاني من الله عز وجل ، وإن دل مرادفهما
الحقيقي وهو : « شيئا » على تلى وقدر الظلم فإيلا كان أو كثيرا في
الظاهر فإنه لا يمكن من التماثل بين « التقير » « والتفيل » الذين اكسبا
المعنى وضوحا وظهورا بإبرازه في صورة ملبوسة إلى جانب الإيجاز
في التعبير .

ومما ورد من الاستعارات في الأخبار النبوية قوله ﷺ في النهي
من الأخذ بشيرة الكافرين والإعتداء بأرائهم « لا تستفتوا بشائر
المشركين » أي لا تهتدوا برأي المشركين ولا تأخذوا بشورتهم ، فالشاعر
مستعمل في غير معناها الحقيقي وأبانت من المبالغة والإيجاز وتوضيح
المعنى ما لا يخفى عليك وما لا ينهش المرادف الحقيقي بالتقييم به .

(١٢) سورة الكهف : ٩٩ .

(١٣) سورة النساء : ١٢٤ .

(١٤) سورة

ونما ورد من ذلك في كلام الشعراء قول منسكين الدارمي من شعراء
الجاهلية :

لحائي لحاف الضيف والبيت بينه

ولم يلهي عنه غزال مفتوح

أحدثه إن الحديث من القرى

ولعمام نفسي أنه سوف يهيج

فوصف الغزال بالفتاح لئلا أنه لا يقصد به المني الحقيق وهو الحيوان
المعروف ، وإنما يراد زوجته الجميلة التي تفسر الغزال في الحسن
والجمال ومع ذلك فلا تصرفه عن الإهتمام بنفسه ولطفه وواسعته
ومشهورته .

وقال عبد السلام بن رغبان المعروف بذلك الجن :

لما نظرت إلى من حلق الهيا

وبست من مفتوح السوار

وعقدت بين قضيب بان أهيف

وكتيب رمل عقدة الزنار

عفرت خدي في القرى لك طالما

وعزت فبك على دخول السار

فدللتنا كلمة : « بست » على أن مفتوح السوار لا يراد بها منهاها
الحقيقي وإنما يقصد بها الإنسان اليهشام اللامعة ، وكذلك أبادتسا
لفظه « عقدت » على أن قضيب البسان وكتيب الرمل لا يراد بهما
مناهما الحقيقي وإنما يقصد بهما التسمية المعتلة والمؤخرة الضعيفة
للتشبيه بين القوام والتضرب في الإعتدال وبين المعجزة وكتيب الرمل
في الضخامة والعمق ، ولا يخفى عليك تبيين الأثر الرائع الذي تجلّى من

تلك الجملات ، وأذلك يطلق عارضا ضياء الدين بن الأثير بقوله :
« وهذه الأبيات لا تجد لها في الحسن شريكا » ولأن يميني مثلها شعورا
أولى من أن يسمى ديكاً » (١٥) .

وقال الخليل حينما أثار السحاب بالمطر وكان مع ممدوحه :

تعرض لي السحاب وقد قفنا

فقلت إليك إن معي السحابا

نرى كلمة « السحاب » قد تكرر ذكرها ، فإريد بها السحاب
الحقيقي المعروف في الشعر الأول ، والممدوح في الشعر الثاني
لذا كانت غيبة تلميحاً لربها الممدوح الذي يقف السحاب في
الكرم ، والذي دلنا على خروجه من معناها الحقيقي في الثاني لفظ
« معي » فإن السحاب لا يسير مع الإنسان ، وإطلاق السحاب على
الممدوح حقق لنا فوائد ما كانت لتحقق بدونه ، من الجلفة في كرمه
ومعانيه ، وتوضيح ذلك في صورة مشاهدة مرئية وهي صورة
السحاب الذي يجود بالغيث ، فتنشأ من الإختصار في الكلام والإيجاز
في التعبير الفرق بين قوله : إن معي السحاب وبين مرادفه الحقيقي هو :
« إن معي شخصاً عظيم الكرم » أو لا حيد الكرم .

وبالنظر فيما سبق من الأساليب نرى أن كلا منها قد استعمل
على لفظة لها معنيان : أحدهما ما عرفت به في عرف اللغة وعزلت
به عن غيره وهو حذائي ، والثاني معنى جديد يوعيت به اعتبارات

(١٥) انظر : أمثال النصار : ضياء الدين بن الأثير ١٠١/٢ تحقيق
الدكتورين : الحوفي ومليحة .

وهو مجازي ، والأول غير مراد والثاني هو التصود ، كما لاحظنا أن شدة
العلاقة تباينت بين المعنيين فسادا لنسأ أن نستخدم الأول في الثاني ،
وكان هناك في الوقت نفسه دليل يربطنا إلى المعنى المجازي المتصود
وهو القرينة .

لعب علماء البلاغة هذا اللون من التعبير بالاستعارة حيث
يستعمل المعنى من الأول للثاني لعلاقة التشابه بينهما كما تنبع صدقة
محدد للمعنى أن يستعمل كناية بلفظ لفترة معينة ، ولما كانت هناك في
الإعارة الحقيقية دلائل تحدد المتعبر والمستعار منه فانه يمكن كذلك
في الأسلوب المشتمل على استعارات وجود أدلة تحدد اللفظ المستعار
ويشير إلى المراد منه ، هذا الدليل يطلق عليه البلاغيون : القرينة .

لذا عرف البلاغيون الاستعارة بأنها اللفظ المستعمل في غير ما
وُضع له لعلاقة التشابه بين ما وضع له وما استعمل فيه مع قرينة
ملائمة من زيادة ما وضع له .

« الاستعارة مجاز لغوي علاقته التشابه » :

عرفت قديما سبق من الأساليب أن التجوز كان في المفردات ، حيث
أريد بها غير ما وضعت له في اللغة ، لذا كانت الاستعارة مجازا
لغويا ، كالمجاز المرسل ، غير أنها تختلف عن المجاز المرسل من
ناحية العلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي . فالعلاقة بينهما في
الاستعارة التشابه ، وفي المجاز المرسل غير التشابه كالسببية
والمسببية والكلية والجزئية ... الخ .

فالاستعارة والمجاز المرسل يلتقيان في كون كل منهما مجازا
لغويا ويقتربان من جهة العلاقة كما علمت ، وأنت تعرف مما سبق الفرق

بين الجبار القسوى الذى يضم الاستعارة والجبار المرسل وبين الجبار المعلى ، إذ أن التجوز فى الأول يتصل بالانكسار من جهة خروجها عما وضعت له فى اللقطة والثانى يتصل بالتجوز فيه فى الإستناد والتركيب باستناد الفعل إلى فاعله غير الحقيقي .

المعلقة

عرفت بذلك أن الاستعارة نوع من الجبار القسوى كالجبار المرسل وولفت على الفرق بين الجبارين القسوى والمعلى ، وبين كل من الاستعارة والجبار المرسل . فالتكلم بعد ذلك على المعلقة التى تسوغ لنا نقل المعنى من لفظ إلى لفظ آخر فى الاستعارة ، لقد إستعمل التعريف على وجود علاقة بين اللفظين المستعار به والمستعار له حتى تصح الاستعارة ، وذلك العلاقة هى المتشابهة كما فهمت ولغذاء الدين بن الأثير تعليل وجيه لضرورة وجود تلك العلاقة فى الاستعارة اللغوية بالقياس على العارية الحقيقية التى لا تنقسم إلا بين شخصين بينهما تصرف واتصال ، فيقول : وإنما سمي هذا القسم من الكلام (استعارة) لأن الأصل فى الاستعارة المجازية ماخوذ من العارية الحقيقية التى هى شئ من المعابلة ، وهى أن يستعير بعض الناس من بعض شئ من الأشياء ، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما تشابه معرفة ما ، يقتضى استعارة أحدهما من الآخر شيئاً ، وهذا الحكم جاز فى استعارة الانكسار بعضها من بعض ، فالمشاركة بين اللفظين فى نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين فى نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر (١٦) .

ذلك المعلقة التي تبيع لنا التجوز على سبيل الاستعارة هي التشبيه بين المتول منه والمتول إليه ، أي المستعار له ، نفي قوله تعالى : والشعراء يتبعهم الغافلون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون (١٧) تستدل بكلمة « يهيمون » على أن لفظة « واد » مستعملة في غير معناها الحقيقي ، وأن المراد بهذا العنود والأغراض والمعالي التي يتصدها الشعراء ، وتبحث عن المعلقة بين الأودية الحقيقية وبين الأغراض الشعرية فترأها تبال في التشابه في الاتساع والعنف وبذل الجهد في قطعها ، وخصت الأودية بالاستعارة ، ولم يستعمل الطريق والمساك أو ما جرى مجراها لأن معاني الشعر تستخرج بالفكرة والقوة ، والفكرة والروية فيها خفاء وغيبوش ، فكان استعارة الأودية لها كناية وكيفية (١٨) .

فلا بد من وجود علاقة التشابه بين المستعار به والمستعار عنه والمستعار له ، حتى يتيسر عملية الاستعارة ، ونفهم من ذلك أن الاستعارة تعتمد على التشبيه ، وتقوم عليه ، غير أن الاستعارة أكثر مبالغة من التشبيه ، وتفسر ذلك :

إن التشبيه يتفاوت قوة وضعفاً من وجوه كثيرة منها استبعاد أركانه وعدم استيفائه لها ، فالتشبيه التكميل الأركان في الرتبة الأولى من المبالغة لعدم احتياجه إلى أمثال الكنه وكذا الفكر ، فإنه في المبالغة ما خلف أحد أركانه الأداة وأوجه التشبيه ، وفي الرتبة الثانية من حيث المبالغة يأتي التشبيه الذي حذف منه وجه التشبيه

(١٧) سورة الشعراء : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .
(١٨) المثل السادس ١٧/٢ .

وأداته كقولنا : مجد بحر ، وعلى سليلوخ ، وبخالد أسد وهو ما يقبونه
بالتشبيه البليغ ، لأنه يدخل لنا أن التشبيه عين التشبيه به وكان حديث
التشبيه لم يجر على بال ، ولذا كان المجهود الفكري الذي يبذل
في فهم هذه الصورة أكثر مما يبذل في غيرها الأمر الذي جعلها في
درجة عالية من جهة المبالغة ، ذلك هو التشبيه البليغ الذي يختلف
منه الوجه والإداة المستعملة فخرنا من التفكير ولذا ، غلب عليك إذا
بالاستعارة التي لا تنسب من أركان التشبيه إلا واحدا ، فهي أكثر
أبعثنا في التخيل والتدبر عينا في التلقى ، والتفكير الفكري والمجهود
العقلي الذي يبذل في تأملها والإحسان بروعتها يفوق بمرات ذلك الذي
يتطلبه التشبيه البليغ ، انظر إلى قول الله عز وجل : **الفرح كغلب الزواجر**
إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بل إن ربهم إلى صراط العزيز
الحديد (١٩) . وتأمل فلا تتبين المسار من الظلمات والنور إلا بعد
إعمال فكر وكذا ذهن ، فاستدل بقوله : **« إنزلناه إليك »** على أن **« الظلمات**
والنور » مستعاران للفسل والهداية ليسان الحالة التي كان عليها
الناس قبل القرآن والتي أصبحوا عليها بعد أن هداهم إنوار ، وانتبهوا
بهديه ، لم تنته قطعا إلى ذلك الذم إلا بعد مرحلة من كد الذهن كثرت
سببا في تقرير هذا المعنى في نفسك وتأكده في وجدانك .

فالاستعارة مع استعمالها على التشبيه كما رأيت تخلق **خمس** من
وجهة أن التخييل فيها أكثر والتلقى فيها أخفى مما يجعلها أقرب لاختلاف
والظن بيننا وأكثر مبالغة لذا كان قولهم : **(الاستعارة قضا من حيث**
ينتهي التشبيه) .

وضح لك ما سبق الفرق بين التشبيه والاستعارة من ناحية الشكل والمضمون ، فالاستعارة مع امتدادها على التشبيه لا تصحى بحسب إلا ركنا واحدا التشبه أو المثل به ، فضلا بصعب التفريق بينهما من جهة الشكل ، والمثالة التي تقوم بهذا الاستعارة لتسوق ما يمتعه أرفع أنواع التشبيه لها فيه ، من تلمس التشبيه وأدعا أن المثل به نفس المثل به . فالفرق بين التشبيه والاستعارة ظاهر كذلك .

ومع وضوح ذلك التوافق بين التشبيه والاستعارة فإن حوارا كبيرا ثار بين علماء البلاغة والتدح حول صورة من مسود التشبيه وهي ما يكتفى فيها بالتشبيه والمثل به ويحذف الوجه والأداة أي تشبيه أو استعارة : كتوك : فلفظة يدريء ومثلثة غزال . ولقد انتسوا في ذلك فريقين : فريق يرى أنها استعارة لعدم وجود أداة التشبيه التي تميز التشبيه عن الاستعارة ومن هؤلاء : أبو حلال العسكري ، وأبو الحسن الأدي ، وأبو محمد الغفاري وفريق ثان يرى أنها من التشبيه المفسر الأدلة ، ومن هؤلاء : القاسم الجرجاني صاحب « الوسيلة بين المختار والمقصود » وعبد التاهر الجرجاني ، وجار الله البخاري ، والمبكي ، وشيخ الدين بن الأثير وساقوا لذلك حجج متعددة .

والحق أن الأسلوب من قبيل التشبيه المفسر الأداة وليس من قبيل الاستعارة ، كما علق شيخنا الدين بن الأثير لذلك بأن التشبيه المفسر الأداة يحسن معه إظهار الأدلة بخلاف الاستعارة فضلا بحسن ذلك فيها : فتوكل : على الأسد - تشبيه مفسر الأداة ، ولو ذكرت الأداة لما كان هناك تنج ولا عيب في ذكرها ، بخلاف الاستعارة فإن ذكر الأداة ودخلها على المستعار يزيل كل ما تجلى من بلاغة ويذهب كل ما حديث من بيان وروعة ، فتقول القباور :

فرعاء إن نهضت لحاجتها

مجل القسيب وابضا الدعص (٢٠)

فالتقريب مستعار للحد ، بجسابع الإعتدال والدعص مستعار للردف
بجسابع الكبر والفضيلة ووازن بين المعنى على تلك الصورة ، وببته بعد
دخول أداة التشبيه على المستعار فنقول : مجل قد كالتقريب ، وابضا
ردف كالدعص — فإتلك تحس بالفارق الشلح واليون كبعيد بين الأسويين
من وجوه كثيرة أهمها : المبالغة والإيجاز .

فالتشبيه المفسر الأداة يحسن إظهار أداة التشبيه فيه ، أما
الاستعارة فلا يحسن فيها ذلك .

وعنك تمليل ثان متصل بها مسبق على أن مثل : خالد أسد
وعلى يحصر من قبيل التشبيه المفسر الأداة وليس من قبيل الاستعارة ،
وهو أن ظهور المستعار له يذهب بروعة الاستعارة ، ويضيع بلاغتها
وجملتها ، على قول الواواء الفيلسفي :

فأبشرت لأولاً من نرجس وسقت

ورداً وهضت على العناب بالبرد

يشع الحسن ويفيض اليه في استعارة اللؤلؤ للذبح والنرجس
للعين والورد للحد والعناب للأليل والبرد للأسنان ، ولم تصل قطعاً
إلى ذلك إلا بعد ثرو وتأمل وثبتت ولو حاولنا أن تظهر أمتعارات ، فهن
الكلام يصبح غثاً ثخيلاً لا يهوجنا إلى فكر ، ولا يستدعي لنا تفكراً

(٢٠) الفرعاء التلية الشعر ، والدعص : تطعمة من الرمل مستخدمة
في الكتيب .

بعد أن زال بهائه ، وذهب حسنه نتيجة إظهار المستعارات نقول :

« فإلهيجه تهبيا كالأول من عين كالترجس ، وسكت خسدا كالورد ،

وعشت على أنبل مخشوبة كالغضب باستبان ككرد ، فبين الكلايين بون

بعد كما ترى فالذي يسمع من كونه استعارة أن الاستعارة مبنية على دعوى

الإنجاس : إنجاس التشبيه بالتشبيه به وجود التشبيه في الأسلوب بضعف

هذه الدعوى ، إذ يدل على أنها إنسان وليس شيئا واحدا .

وأمر ثالث : يمنع من إطلاق الاستعارة على هذه الصورة

ويخصها بالتشبيه هو : أنا إذا لم نجعل قولنا مجرد أسد تشبيها مفسر

الأداة ، فإن المعنى يستحيل ، لأن بخدا ليس أسدا ، وإنما هو كالأسد

في حجامته ، فإداة التشبيه تقدر ضرورة كي لا يستحيل المعنى .

فيسقيم لك أن مسورة التشبيه البليغ الذي حذف فيه الأداة

ووجه التشبيه يرجع أن تكون تشبيها وبضعف كونها استعارة .

التناسب بين المستعار له والمستعار منه :

عرفت أنه ينبغي لاملام عبارة النجوز وجود علاقة بين الممتد

الطلي والمجرى ، وتختلف هذه العلاقة من مجاز لآخر فمن في

الاستعارة التشبيه كما رأيت وفي المجرى المرسل غير التشبيه كالسببية

والجسبية والفكية والفلسفية والحسية وإعبار ما كان واعتبار ما سيكون

إلى غير ذلك كما سبق لك معرلته ، وهي في المجرى المعنى السببية

أو الفعلية والمتولوية أو الزمانية والكيفية .

ولما كانت الاستعارة كما علمت تستدعي تدرا من التفكير رائدا

للإحساس بروبيتها واستيعار جلالها لها فيها من المبالغة الزائدة الناجمة

من تاسي التشبيه وشدة التخيل فبته يستحسن أن تكون علاقة التشابه

بين الطرفين المستعمر له والمستعمر منه واضحة لا يحضر فيها ، ولا يصعب تحديد المراد منها ، وإن يكون تشبيه بين الطرفين متاسيا وجليا إما بنفسه كذا على تشبيه القيد بالقضن في الإعتدال ، لأنه يدرك بالحس ، وإما أن يكون جليا بحسب المعرفة ، كما في تشبيه الرجل بالشجاع بالأسد ، لأن الأسد معروف بالثيابة ، وإلا لم يتحقق ذلك التشبيه بين المستعمر له والمستعمر منه فإن الاستعارة تتلذذ كثيرا من روعتها ، وتصير القيلولة نعمة لاستعارة وتغليلا ، كما إذا قيل : رأيت إسدا ، وأريد إنسانا آخر ، وكما إذا قيل : رأيت إملا مائة لا تجد فيها راحلة - وأريد الناس ، أو قيل : رأيت عودا مستقيما أو إن الغريس ، وأريد إنسان مؤدب في صباه .

وكان خفاء العلاقة بين المستعمر له والمستعمر منه سببا في إخراج كثير من الإستعارات من دائرة الحسن ، والبهتان النقاد لها . حتى إن ابن سنان الخناني الموفى سنة ١٦٦٦ هـ - يرى أن الاستعارة خريفان : قريه مختار وبعيد مطرح ، وإن القريب المختار منها ما كان يبلسه وبين ما استعير له تناسب قوي وتشبيه واضح ، والبعيد مطرح ما لم يكن كذلك . ومن الاستعارات التي عابها النقاد لعدم التناسيب بين المستعمر له والمستعمر منه قول أبي نواس :

بح صوت المال بما يشك يشكر ويصيح

يعني : يشك صوت المال من الكلام القائل ، ومراده من ذلك : إن المال ينظم من إهانتك إياه بالتهزيق ، فالمعنى حين التعبير عليه قبيح .

وقد كان مسلم بن الوليد أكثر توثيقاً في هذا المعنى حيث قال :

تنظم المال والأعداء من يده

لا زال للمال والأعداء طلائما

كذلك ما لب التناد قول أبي نواس :

ما لرجل المال أبست

تشكتي منك الكلال

وتذكروا أن انسانة « الرجل » إلى « المال » أتبع من إفسانة

انصوت . ومن الاستثمارات التي أطرحتها التناد لعدم التلازم بين الاستثمار

منه والاستثمار له قول أبي تيلم :

وكم أحرزت منكم على بيع قدرها

صروف النوى من يعرف حسن القدر

فاشاعة القصد إلى النوى من البعد بمكان . وقد علق ابن سنان

الخنطلي على هذه الاستثمارة بقوله : « أين إستمارة القصد لصروف

النوى من أبعاد ما يقع في هذا الباب وأبعده ، وإنما يتودأ بما تمام إلى هذا

وأما رغبته في الصنعة ، حتى كأنه يعتقد أن الحسن في الشعر يتصور

عليها ، فيورد منه لأجل التكلف بالآ غاية لبعده ، ويبدد الخابلسر في

بعض المواضع غياني بالمجائب الغرائب (٢١) .

كذلك ورد قوله :

بلونك أيا كعب عرشك في العلا

فعمال ، وأماخذ مائك أسفل

نقوله : « كذب عريك » و « قد جاك » ما يستهجن ويستقبح ويستكر ، ومرادهن من ذلك ان عريك مسون ، وملك مبدول ، إلا انه عبر عنه كتح تعبير .

موضوع الشبه والتناسب في العلاقة بين المستعار منه والمستعار له امر ضروري لصحة الاستعارة وركن أساسي لتوافر الحسن لها ، ولذلك قد يكون المستعار واحدا في استعارتين مختلفتين وتحسن إحداهما ولا تحسن الأخرى لموضوع الشبه وتوافر التناسب أو نقده ، فقد استحسن النقاد قول أبي نصرين بياته :

حتى إذا بهر الأياطح والريا

نظرت إليك بأعين القنوار

واستهجنوا قول أبي تمام :

غسرت بقران عين الدين واتشبرت

بالأشقرين عيون الشرك غاصطيا

وذلك على الرغم من ان المستعار واحد فيهما وهو العين ، وان القنوار والشرك لا عيون لهما على الحقيقة ، ومع ذلك تحببت استعارة العيون للناس وحسنت لأول ، وعلّة ذلك ان القنوار يشبه العيون فاشبهه وانسج والتناسب موجود والدين والشرك ليس مبهما بما يشبهها ولا يقارنها .

النتيجة :

لقد اشتمل التعريف على ضرورة وجود دليل في الأسلوب الذي وردت فيه الاستعارة لتستعين به على تحديد المعنى المجازي المراد

من اللفظ ولأنه يستعمل في غير معناه الحقيقي (٢٢) ، ويقلب اللفظيون
هذه القليل بالقرينة ، وهي إما أن تقوم من تحسوى الكلام ومن سياق
التركيب بدون أن يكون لها لفظ محدد وتسمى حينئذ حاليمة . وذلك
كما في قوله تعالى : (لو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به
في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين
ما كانوا يعملون) (٢٣) من الآية التريسة استعارتان في « ميتا »
و « أحييناه » وهما قد استعيرتا للفساد والهدى ، والقرينة حالية
يدل عليها سياق الكلام . ومن ذلك ما قاله الخطبة في استعطاف سيدنا
عمر رضي الله عنه ليطلعه من الحبس :

ماذا تقول لأتسراخ بذي سرخ

زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

التيت كاسيهم في شعور مظلمة

فاقتفر عليك سلام الله يا عمر (٢٤)

فقد استعار « تسراخ » لاشفاقه المسافر بجلب الحاجة إلى الرمية
والمثلية واستعار كذلك « الكاسب » : الجارح من الطيور ، وليس في
الكلام لفظ استعيرنا عليه في تصعيد المراد من الظلمتين السليتين ، ولكن

(٢٢) - والصرف للذهن من إرادة المعنى الحقيقي ، ويعرف ذلك بالقرينة التي
لا بد من وجودها بالاقبال أو بالتحال في جميع صور المجاز وأساليبها :
لقويا كان أو عقليا .

(٢٣) - سورة الأنعام : ١٢٢ .

(٢٤) - ذو سرخ وأد بالحجاز ، زغب : جمع زغباء وهي مأخوذة من الزغب
بالتحريك وهو مسفر الشعر والريش وليسة ، والحواصل : جمع
حوصلة وهي كالمعدة للإنسان ، الكاسب : الجارح من ذوات
المسد من السباع والطيور .

شاهد الحال ومعرفتنا بقصة الخطيئة مع سيدنا عمر رضي الله عنه
وأنه قال الشعر استعملنا له هو ما دلنا على أن النظمين السابقين
يستعملان في غير معناها الحقيقي .

وقد تكون القرينة لنظما لتقبل عليه التعبير لمسمى لفظة .
وأحدنا كان ذلك اللفظ ، كقوله تعالى : (**ولما سكك عن موسى الغضب**
أخذ الأتواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) (٢٥)
فالسكوت مستمر لإنتهاء الغضب بجامع الهدوء الخرب على كل منهما ،
والقرينة هي لفظة : « الغضب » وهي عامل الفعل « سكك » فيستأنه
إيها دل على أن السكوت غير حقيقي .

وقوله تعالى : (**وإذ أيسه الشتر قد ودعاه عريض**) (٢٦) أي كثير ،
نقد استمرار العرش للكثرة ، لأن العرض أكثر مجالفة وتوضيحا ، وكلمة
« دعاه » التي وصفت بالعرض هي التي حددت لنا المعنى السابق
للعرض وأنه مراد به غير معناه الحقيقي . وكذلك قوله تعالى : (**إنا لما**
طغى الماء جفلناكم في الشارقة) (٢٧) عليه استمرار الطغيان للفرسان
والزيادة كما سبق لك بجامع مجاوزة الحد أي كل منهما ، ونفس
الماء الذي وقع غاملا « لطغى » أرشدنا ودلنا على ذلك .

وقد تكون أكثر من لفظ كقوله تعالى : (**وضربت عليهم الذلة**
والأسكة وياثوا بغضب من الله) (٢٨) فالاستعارة كما صرحت في

- (٢٥) سورة الأعراف : ١٥٤
- (٢٦) سورة فصلت : ٥١
- (٢٧) سورة الحاقة : ١١
- (٢٨) سورة البقرة : ٦١

(٧م - فروس تطبيقية)

« شربت » وهي مستعمارة لملزمة الذلة لهم ، ودلتنا كلمتا « الذلة »
وال«سكة » وهما ثلث عامل للعمل الذي وقعت فيه الاستعمارة على أن
الشرب لا يراد به معناه الحقيقي وهو شرب الخمرية على من فيها أو
شرب الطين على الحائط ليلصق به ، وإنما يراد به الموت والملزمة
وهو مجاز عن المعنى السابق ويجمع بينهما التشابه في الإحاطة
واللزوم .

وكتول الشاعر :

فرعاه إن نهضت لحاجتها

عجل الضبيب وإبطا الدعس

فلضبيب مستعار ثلثد بجلبج الاعتدال ، والدعس مستعار للردف
بجلبج الضخامة كما عرفت ، ونل ذكر « فرعاء » وإسناد النهوض إلى
خسـمـيرها على أن « الضريب » و « الدعس » يستعملان في غير معنيهما
الحقيقي ، وقد تكون القرينة اللغوية مجموعة معان قد ضم بعضها
إلى بعض ، كتول الجسري :

وصاعقة من نصله تنكفي بها

على رؤس الأقوان خمس سحاب

نقول : « خمس سحاب » مستعار لأنامل المدوح ، وعين ذلك
الأنساق السابقة عليه ، وهي « صاعقة » و « من تسلة » وتنكفي على
رؤس الأقوان « تعملت هذه الأنساق مجتمعة على صنف « خمس
سحاب » عن مدلولها الحقيقي ، وتصديد المعنى المراد منها . فالقرينة
كما ترى تعيدنا شيئين هما : تحديد المعنى المجازي المراد من اللفظ ،
ومعرفة الذهن عن إرادة المعنى الحقيقي ، وقد عرفت أنها تكون حالية
تتم من السياق أو لتفليسة ، بلطف واحد أو أكثر من لفظ .

الفرق بين الاستعارة والكذب :

وإذا كانت القرينة أمادتنا في صرف اللفظ من معناه الحقيقي ، وحددت لنا المعنى المجازي المراد منه ، فليتها في الوقت نفسه تخرج الكلام الذي ورد فيه عن دائرة الكذب ، لأن الكذب لا يقدم دليلاً على خلاف ما يزعمه ذلك إلى جانب عملية التأويل في الاستعارة ، فإن الكذب ليس به هذا التأويل .

ولما كنت عرفت أن الاستعارة تعتمد على تماهي التشبيه وإدعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل في جنسه ، فقد يعترض على ذلك بأن وجود القرينة في الاستعارة ينفي هذا الإدعاء ويتلأل من قبحته ، فيقول : شاعرت ساروخا يعبر القنساء ، كيف يمكن التوفيق بين استعارة الساروخ للجندى الشجاع الباسل وما يستلزم ذلك مما يفيد تشبهي التشبيه من تخيل أن ساروخاً حقيقياً يعبر القنساء ، وفوقك بعد ذلك : يعبر القنساء ، الذي يعين أن « الساروخ » مستعمل في غير معناه الحقيقي ويراد به الجندى الحارس .

لقد ذكر العلامة « أبو يعقوب السككي » صاحب مفتاح العلوم المتوفى سنة ٦٢٦هـ الإجابة عن ذلك بأن هذا الأسلوب وما شاكله من قولنا : رأيت أسداً يرعى دغوى الأسدية للرجل نبيه على إدعاء أن أفراد جنس الأسد قسمان بطريق التأويل : متعارف : وهو الذي له غاية الجسرة ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة ، وهي صورة الحيوان المفترس ، وفرد متعارف ، وهو الذي له تلك الجسرة وتلك القوة لا مع تلك الصورة ، بل مع صورة القسري ،

وهي صورة الأسد غير المنترس ، على نحو ما فعل المثني حين عد نفسه وجماعته من جنس الجبن ، وجماله من جنس الطير قائلا :
نحن قوم جليسن في زى ناس

فوق طير لها شخوص الجمال

والمنش الذي تقوم القرينة بصرفه وعدم إرادته هو المعنى المتعارف الذي يسبق إلى الفهم وهو صورة الحيوان المنترس ، فينتعين الآخر ، وهو صورة الأسد غير المنترس ، وجبئلا لا يكون هناك تماثل بين الإصرار على إدعاء الاسمية ونسب القرينة على عدم إرادتها لأن ما يصر عليه غير ما تمنع إرادته (٢٩) .

الاستعارة القريبة والبعيدة :

علت أن الاستعارة تعتمد على التشبيه ، إذ أنها مجاز لغوي ملائمة التشابه ، وتسد بربك عند الكلام على التشبيه أن منه القريب والبعيد وأن المراد بالتقريب هو التشبيه السهل المتداول الذي لا يحتاج إلى مجهود فكري في التعرف على ملامحه ، لأن وجه الشبه مما يصرح حضوره إلى الذهن ، أو لفظة التفصيل فيه ، وأن التشبيه البعيد هو الذي يحتاج إلى كد الذهن وإعمال الفكر في الوقوف على أسراره للثقة في صيغته ولأن وجه الشبه فيه بعيد غريب لا يبر بالذهن إلا نادرا ولا يخطر على البال كثيرا أو لكثرة التفصيل فيه ، ولما كانت الاستعارة تعتمد على التشبيه فإنها تنظر بالمرآة التي يرب بها ، فمنها القريب التناول الذي يحرك بديهة الناظر ومنها البعيد القريب الذي

لا يظن له إلا الشواس ومن أوتوا ذهبا ارتفعوا به من طبقة
المسوام .

ومرد الشرب والبعد عن الاستعارة هو نفس مرده في التشبيه
وهو القرب والبعد عن وجه التشبيه ، ومن ذلك شيء من التفسير ، فلتبدأ
بالاستعارة القريبة ، والشرب الأول منها وأدنى القرب قربا من الحقيقة .
ما كان الجناح فيها داخلا في مفهوم الطيرين المستعار له والمستعار
منه ، وإن يكون معنى الكلمة المستعارة موجودا في المستعار له من
حيث صوم جنسه على الحقيقة ، كاستعارة الطيران لغير ذي الجناح
إذا أريد المجازفة في السرعة ، وانتفلس الكواكب للفرس إذا أسرع
من حركته من علو والمبالغة له إذا مدأ عدوا تكن حاله فيه شيئا
بمقالة السليح في الماء ، ومن ذلك ما ورد في الخير : « خير الناس
رجل يسلك بعثان فرسه في سبيل الله كلما سمع هجمة طار
فيمسك (٢٠) » ويقتل البراة من بني الحارث ترثى قتلا :

لو يشا طاربه نو يجمعه

لا حق الإطال تهد ذو خصل (٢١)

لفظ « طار » في الحديث والبيت مستعار للعدو ، ويشترك
الطيران والعدو في أسر داخل عن مفهومها ، وهو تطلع الفاقة

(٢٠) يشا : أملة : يشاء ، والشيمر فيه لمن يركبه ، والجمعة :
التضايق ، والإطال : جيع إطل : القاصرة والمراد ضارب الجنين ،
والتهيد : التوى ، والخصل : جمع خصلة هي : الشعر المتجمع ،
تعني أنه لو شاء لاتجاه ذلك الفرس .

بسرعة ، ولكن الطيران لسرع من المسدود ، وتحوطها من استعارة الطيران
لنعدو قول بعض العرب :

قطرت بمنصلي في عمليات

قوامي الأيد يقطن السريحا (٢٢)

أي مشيت بسرعة إلى فوق نجيبك فمعتزتين فخطن السهور
المشودة على أرجلهم ومن الاستعارات القريبة لدخول الجليل في
معلوم المستعار له والمستعار منه استعارة فيض الماء لا يسيل للبحر
وظهوره في قول البحري :

يتراكمون على الأنسة في الوغى

كالنجر قاض على نجوم الذهب

فلنجر السيل شبيه بحركة الماء ، وجعلهم كالنجر بالنظر إلى
ما عليهم من الفروع الالحة .

ومن هذا الضرب الأول من شروب الاستعارة القريبة من الحقيقة
استعارة التزييق لتزييق الجماعة وإبعاد بعضهم عن بعض في قوله
تعالى : (ومزقناهم كل ممزق) (٢٣) واستعارة التلطيع كذلك في قوله
الجماعات في قوله تعالى : (وقطعناهم في الأرض أمما) (٢٤) فإ - خارج
فيها داخل في مفهوم الطرفين بوضوح ، ومن ذلك أمثلة كثيرة من كونه
للأجسام الصغار كالحيوب والتطيع الصغيرة من سفل الملتزمين وتزييقهم
ولا تريب كما في قول ابن تيم :

(٢٢) المصل : السيف : واليعلل : التوق المطلوبة على العمل جسع
بجلة ، والريح : السيل الذي يشد على أرجلها .
(٢٣) سورة نساء : ١٩ .
(٢٤) سورة الأعراف : ١٧٤ .

وتقد ثلثهم روعة لم احدثوا

به جثا الست عقيدا منظما

وتسول المتنبى :

ثلثهم فوق الاصيد ثلثوة

كما ثلثت فوق المبروس الدراهم

الاستعارة في كل ما سبق من الوضوح بسكان ، لأن وجهه
الشبه بين المستعار له والمستعار منه تريب وتظاهر ويتحقق بينهما .

لما القرب الثاني من الاستعارة القريبة فهو ما كان الجامع فيها
واضحاً وليس داخل في مفهوم الطرفين كما في تشبيه إنسان بتعل
وجهه بالشمس فالجامع بينهما وهو التلألؤ والبهاء غير داخل في مفهومهما ،
ومن ذلك قول المتنبى في مدح سيف الدولة :

أجلك يا شمس الزمان وسفره

وإن لا منى نيك السها والاراقند(٢٥)

أي عانى الزعم من فيض الحساب بين هم اكل شاةً منك قبل حسبي
نك دأسم ، وفي البيت كما ترى أربع استعارات ، اثنتان منها في الشمس
وتدبر بجامع التطوير والتلألؤ ، اثنتان في السها والاراقند بجامع الضفر ،
والجامع كما ترى من الوضوح والتطور بحيث لا يحتاج إلى فكر وتدبر وهو
غير داخل في مفهوم الطرفين ومنه كذلك قوله في خطاب سيف الدولة :

(٢٥) السها : كوكب خنى يتحن الناس به أيسارهم ، والاراقند : جسيع
فرقد وفي السماء فرقدان الثلسان نقط وهما نجمان قريبان من
القطب .

أي أنك تامل الأسد يجسك وروحك ، ومظهرك ومخبرك في الوقت الذي يوجد فيه من يمالها من جهة الشكل فقد ، نالاجيح وهو الشجاعة في غاية الوضوح وقد داخل في مفهوم الطرفين ، لذا كانت الاستعارة فيه من هذا الشرب الثاني من شروب الاستعارة القريبة .

ومع لتناق هذا الشرب مع ما سبقه في وضح الاستعارة وتريها فإنه يختلف عنه ويرتسم ظلا من جهة اختلاف الحسنيين الذين يتحاكي الجمع بينهما فجنس الانسان غير جنس الشمس والأسد ، وليس كذلك الطيران وجسري الفرس فقيما جنس والحسد بالاشبه ، وكلاهما مسرور وتطلع للمساواة وإنما يتسع الاختلاف بالسرعة .

فالاستعارة القريبة كما رأيت، ما كان الجانيم فيها والفصحى ظاهرا يترك بمجرد النظر من غير حاجة إلى تدبر وشغل سواء أكان داخلا في مفهوم الطرفين كالشرب الأول أو غير داخل فيهما كالشرب الثاني .

الاستعارة البعيدة :

فإذا ما كان الجانيم بين الطرفين من الألف والغاية بحيث يحتاج إلى إعمال الفكر والمقالة التامس فإن الاستعارة تكتسب صفة البعد والغريبة ولا يدركها إلا الخواص الذين ارتفعوا عن طبقة العوام أمعاء ذهنهم وثاقب فكرهم ، وذلك بتحقيق في الجامع العظمى ، والشيخ عبد القاهر يرى أن مثل هذه الاستعارات التي يكون الجانيم فيها عظميا هي الصميم الفخام من الاستعارة ، والمنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها ، ويتسع لها كبر شامت المجال في تفتتها وتصرفها ، فضلا

ببصرها إلا ذوو الأذهان الصافية والمعقول النافذة ، وكطباع الصليبة ،
والنفوس المستعدة لأن تمنى الحكمة وتمركه نسل الخطيئة (٣٦) .

وذلك كاستعارة النور للعلم والإيمان والبيان والحجة الكافئة عن
الحق القليلة لتشكك الغلبة للرب كما في قوله عز وجل : « **وَاتَّبِعُوا**
الْأَوَّلَ النَّبِيُّ أَنْزَلَ مَعَهُ ۖ (٣٧/١) فاناراد من النور البيان القرائي ،
فالجامع بين الطرفين ليس واضحاً محسوساً كما يبين طيران الطائر
وجرى القرس والرجل الشجاع والأسد وإنما هو ليس مثلي يدرك
بالفكر والتدبر ، وبالتالي تبين أن المقصد من تشبيه الإيمان والحجة
وتجوها بالنور أن القلب إذا وردت عليه الحجة مسار في حالة شبيهة
يحال البصر إذا صادف النور ووجهه طلائمه نحوه ، ومن ذلك قوله :
« **لَسَانٌ يَتَقَبَّطُ فِي أَوْدِيَةِ الظُّلُمِ ، بِسِتْعَارَةِ الظُّلُمِ لِلشَّيْبَةِ وَالْجَهْلِ وَالْكَفْرِ**
والفسلال ، والوجه فيما علق يراى منه أن القلب يحصل بالشبهة والجهل
في صفة البصر إذا قيده نفس أذل فلم يجد منسجماً ، فيصير العقل بسبب
الشبهة والجهل المانع من إدراك الحقائق العجيبة كالتي إذا اشتقت على
صاحبه ظلمة الليل لمسلم بدر أين يذهب ، وكذلك في استعارة الظلمة
للشلال والكفر لسلان صاحبه كما يسمى في الظلمة فيذهب في غير
الطريق وربما دفع إلى هلك وتردى في أهوية ، فالشبهة في كل ما يفسد
عقل والمستعار منه محسوس والمستعار له معقول والوجه عقلي ،
ومثله من استعارة المحسوس للمعقول والوجه عقل استعارة القسطنطين
للعقل في قوله : « **لَسَانٌ يَحْكُمُ بِالْقُسْطَانِ ، وَكَمَا يَقُولُ عَنِ النَّصُو :**

(٣٦) انظر : أسرار البلاغة ص ٥٥ وما بعدها .

(٣٧) سورة الأعراف ١٥٧ .

انه ميزان الكلام ومعبارة ، نالقيه مأخوذ من جسم بحس ويشاهد لعنى يعلم ويمثل والوجه عطفى .

وقد يؤخذ الشيء من محسوس لمحسوس . فيكون المستعار منه محسوسا والمستعار لانه مثله والوجه عطفى ، كقوله **ج** : **يا فلكم** وخضراء الدين ، قبل وما ذاك ؟ فقال : المرأة الحسنة ، في الميت النسوة (٢٨) ، فالمستعار منه ما لميت في الدين من الكلا والمستعار لانه المرأة الحسنة في الميت النسوة وكلاهما جسم بحس ويشاهد ، إلا انه لم يقصد بالتشبيه لكون التيات وخضرة ولا طعمه ولا رائحته ولا شكله وسورته ولا ما شكل ذلك بل القصد شبه عطفى بين المرأة الحسنة في الميت النسوة وبين تلك الشابة على الدمة وهو حسن الظاهر في رأى العين مع لسك الباطن ، وطيب الرائحة مع خبث الأصل .

وقد يكون المستعار منه محتولا والمستعار لانه كذلك ووجه الشيء عطفى ، كتول القسامر :

والإسراع كريمة أو تنسجى

فيسواك بالعمها وانت المشرى

أى في الوقت الذى يدخل بكبر من الناس من الصفات الطيبة فذلك لا تتوانى من إحراز النفع والتحصيل المكرم ، فالباع والشرى يستمران للترك والوصول والجامع عطفى والطرفان كذلك ، ومن هذا التمثيل استعارة لعدم الوجود الذى لا يقع وراءه في قولك : رايت معنونا بمضى في الطريق أى إنساقا وجوده كالعدم ، واستعارة الوجود للعدم الذى

(٢٨) الدين : جمع دنة ، وهو الموضع الذى فيه السرتين (الرسل) وكذلك ما الخطأ من الماء والطين عند الحوض .

بقيت آثاره الجميلة في قولك : زرت موجوداً في غيره تنصبت عينا بقيت
آثاره الجميلة التي تسمى ذكره وتديم في الناس اسمه . فالمستعار منه
معتول والمستعار له كذلك ووجه الشبه مطلق .

فترى أن الاستعارات فيها مسبق كانت من اللطف واليمد بحيث
لا يدركها إلا الفسلة من أصحاب الفهم الثاقب والفكر اللين لتكون الجالس
فيها عقلياً ، وهذا هو الضرب الأول من ضروب الاستعارات البعيدة .

الضرب الثاني « ن الاستعارات البعيدة : ما كان الجالس بين المستعار
منه والمستعار له قريباً بعيداً لا يدرك بمجرد النظر بسل بعد تأمل وتدبر
كما في قول طليل الفتوى يصف نفسه بكثرة الاسرار :

وجعلت كسوري فوق ناجيسة

يقطعات شحم سنانها الرجل (٣٩)

فقد استعار « القطعات » لإذهاب الرجل شحم السنام بجائع الشمس
المتراب على كل ملها ، ولما كان الشحم مما يصلح للوقت ، والرجل يتفقد
منه أبداً ويذيقه فقد وثق الشاعر فيها غناه ، لغرابة في وجه الشبه
أثيرة من جهة أن فيه تخيلاً بأنه يجري على الحقيقة ، ومن الاستعارة
الغريبة لغرابة وجه الشبه فيها قول ابن المعتز :

جاني إذا ما عرف الصيد القمار

ولأن الصيغ لنا في الإبصار

أي إذا تها لنا أن نبر ، فقد استعار الإذن لا مكان الرؤية بجائع

(٣٩) الكور : رجل البعير ، الناجيسة : لفافة السريمة .
(٤٠)

ما يترتب على كل منهما من مزاولة ما كان محظوراً ، ولما كان تعذر الإحصار معنا من التل جمل إمكانه عند ظهور المصح إلنا ، فالجاء كسما ترى غريب لا يدرك بمجرد النظر ، لهذا كانت الاستعارة غريبة ونادرة .

القرب الثالث من الاستعارات البعيدة : ما كان التشبيه فيها نادراً أبعد ما بين الطرفين ، على غرار التشبيه البليد ، بأن يكون الشيء به موجوداً بكثرة لكن يتدر حضوره إلى الذهن ومروءه بالخاطر عند حضور الشيء لبعد التناسبة بينهما ، كما في قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فارساً له بانه يؤدب ، وأنه إذا نزل عنه ، والى عنقه في قريوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه :

عودتـه قيساً أزور جبالـيـن

إجماله ، وكذلك كل مخاطـر

وإذا أحتـي قريوسـه يمانـهـ

عكـ الشـكـم إلى إنـصـراف الزالـمـ

فالاستعارة في (أحتي) وأسله : جمع الرجل ظهره وساقه يكوب وتحوه وقد استعير لجمع القريوس وجاتيى نم النرس بالعمان معنوا من القريوس إلى جاتيى النـم ، بجائع إحاطة شيء لشئين شاماً أحدهما إلى الآخر ، وأحدهما أعلى والآخر أسفل ، ويتصد بالزائر نفسه على سبيل الالتفات ليدل على كمال أدبه غرسه ، وأنه لا يبرح مكانه وإن طال مكانه عند من يزوره ، فترى أن المستعار به موجود بكثرة غير أنه يتدر حضوره إلى الذهن عند حضور الشيء لبعد التناسبة بينهما ، فأحدهما من وادى التعود والآخر من وادى الركوب ، وقد انضم إلى نكرة التشبيه نكرة التفصيل في وجه الشبه فاجتمع في الاستعارة سببا البعد في التشبيه البليد الغريب

وهي : ندره التشبيه وكثرة التمثيل في وجه الشبه لسذا كثرة من اللغة والفراية بحيث لا يدركها إلا لولو النظر الشديد والفهم الأريب .

تحويل الاستعارة الماهية القريبة إلى خاصية بعيدة :

عرفت أن التشبيه لتقريب يمكن تحويله إلى بعيد غريب إذا ما أضيف إليه من المنفعة البهنية والبدعية بحيث يبعد عن الأذهان ويعلو على الألفاظ فلا يلتاد إلا للبرورين ، كذلك الاستعارة وهي كما عرفت تعتمد على التشبيه في جميع أحوالها ، فالاستعارات القريبة الثائرة تتناولها المثلثات المبدعة فتغير طريقتها وتجدد كسائها وتجعلها في أعلى القلـ وسمى الدرجات ، انظر إلى قول كثير مرة :

ولما قضينا من ملى كل حاجة

ومسح بالأركان من هو ملح

وشئت إلى دهم المهارى رحلتنا

فلم ينظر القادى الملى هو رائج

أخلصنا بأطراف الأهاليك بيننا

وسالت بأعناق الملى الأبلح(١)

يريد أن الإبل سارت سيرا حثيثا في غاية السرعة ، وكثرت مسرعة في أين وسلاسة حتى كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الأبلح فجرت بها ، وقد دل على ذلك قوله : « وسالت بأعناق الملى الأبلح » فالاستعارة في قوله : سالت - والسيلان هو مرور الماء بسرعة ، وقد استعارها لقطع المسافة بسرعة ، وهي استعارة قريبة لا تغيب عن

(١) دهم : جمع دهم وهو الأسود . المهارى : الإبل : جمع مهرة ، الأبلح : جمع أبلح ، وهو سيل الماء فيه فتائق الحمى .

أفهام المولم . لكثرة استعمالها وتطور جليتها ، لكن الشاعر استطاع أن يخرجها من القرب والإبدال إلى البعد والغربة بما أضفاء عليها بهذا التصرف الينيع ، فقد أسند الفعل (سالت) إلى (الأياطح) وهي المكان الذي تسير فيه المطى من اسناد بالتحال إلى المحل على سبيل الجار المعقلى للاستعارة بشدة سرعة الإيل وكثرتها وإنما ملأت الأياطح حتى ليتقبل الناظر أن الأياطح هي التي تسير ولم يكتف الشاعر بهذا التجزئيل أدخل الاعتاق في السير مع تعدية الفعل إليها بالياء ، لأن السرعة والبطء يظهران غالبا على الاعتاق، وبهذا التصرف الينيع خرجت الاستعارة كما ترى من القرب والإبدال إلى البعد بحيث لا ينف على دقائقها ولا يترك مسرها إلا ذور الأذهان الصلبة والمخاض الرقيقة . وتستطيع أن تتبين ذلك مليا لو وأزنت بين الأسلوب خاليا من هذا التصرف فقلت : وسارت الإيل سيرا حيثما حتى كأنها كانت مسيولا وقعت في تلك الأياطح فجرت بهاء وبهت بعد أن تصرف فيه بما سبق من قول الشاعر : وسالت بأعناق المطى الأياطح - فذلك تدرك اليون البعده بين الأسلوبين ، والآخر البلاغى الذى صلغته الاستعارة في قول الشاعر من الإيضاح والمبالغة والإيجاز .

وحل هذه الاستعارة في الحسن وعلو الطبقة في هذه اللفظة يعينها قول ابن المعتز :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا

تصاره بوجوه كالدنانير

أراد أنه مطاع في الحى ، وأنهم يسرعون إلى نصرته ، وأنه لا يدعوهم لخطب إلا أتوه وكثروا عليه وأزدحموا حوالبه حتى تجدهم كالمسيول تجيء من هنا وهناك ، وتصب من هذا المسيل وذاك ، حتى يغطي بها

الوادي دل على ذلك قوله : (سالت عليه شعاب الحي . . .) لقد استعار السيلان لإيقاظهم عليه صرعين ، والاستمارة كما علمت قرية يدركها الخاصة والعامة لكثرة استعمالها وظهور جامعها ، ولكنه تمكن من إخراجها من دائرة الانتهاز إلى مرتبة الحزن والإبداع بما أضاف إليها ، إذ استند (سالت) إلى الشعاب دون الأشخاص الذين حققه أن يستند إليهم من إسناد ما لتحال إلى المحل على سبيل المجاز المعقلى للاستعاز بكثرتهم حتى ليتخيل الرائي أن الشعاب هي التي تسير ، ولم يكتب بذلك بل أدخل الوجود في المسير ، لأن السرعة والبطء يظهران عليها كالاعتاق في الإيقل ، ومدى الفعل إلى ضمير المدحج (بعلى) فأكثرت متصوده من كونه نظاما في الحي ، وبذا مسارت الاستمارة من الحقبة يمكن وببكتك أن تدرك قيمة هذا التصرف أو عذبت بالأسلوب إلى وضعه الأول قبل إضافة هذا التصرف إليه فقلت : سالت الأنصار في شعاب الحي ، فإن بين الأسلوبين بؤسا بعيدا ، وغرفا كبير (٤٢) .

الجمع بين الاستعارات :

كما تخرج الاستمارة القريبة المبتذلة إلى البعد والغربة بالجمع بين عدة استعارات إلحاق الشكل بالشكل فيشتد أثرها ويتقوى ساعدها ، ومن ذلك قول أميرة القيس في وصف الليل :

وليل كموج البحر أرخى سدوله

على بأنواع الهبوم ليلتي

(٤٢) انظر : دلائل الإيجاز ص ٥٩ ، وشفة الإيضاح ص ١٢٨ .

قلت له لما نطى بصلبه

وارد امجازا ونساء بكتل (٤٣)

نقد استعار الصلب لوسط الليل ، والامجاز لآخره ، والتكثل لوائيل الليل ، وهذه الاستعارات الثلاث تم للشاعر ما أراد كما يذكر الشيخ عبد القاهر ، من تصوير ما يراه الناظر من سواد الليل ، إذا نظر إليه وإذا نظر خلفه ، وإذا رفع البصر وده في عرش الجو بصورة الهمير على تلح وجوهها وانتها (٤٤) . فاستعارة التكثل لوائيل الليل والصلب لوسطه والامجاز لآخره من الاستعارات القريبية لظهور جامعها ، واستطاع الشاعر ان يخرجهما إلى دائرة البعد والغربة بأن جمعها لموصوف واحد ، فتوى ساعد كل منها بالآخرى وإشقت ، ولم يكتف بهذا ، بل جعل (الصلب) يمتطى ، والامجاز تريف ، والتكثل يتوء ويتثقل فأجاد في رسم الصورة ، حتى أفضت لا تنقاد إلا للمروين .

وخلاصة ما سبق ان مرد القرب والبعد في الاستعارة إلى القرب والبعد في التشبيه من قلة التفصيل في وجه الشبه ووجوده بكثرة ، وكثرة التفصيل فيه وتدرجه حيث تعتمد الاستعارة على التشبيه ، وأن المراد بالبعد في الاستعارة كما أريد به في التشبيه ليس البعد الناتج عن الانفصال والتعمية والتمعيد وإنما هو البعد الناشئ من الفتنة في تصريف المعاني وإيائها جيد المعينات بحيث لا يترك أسرارها إلا من رزق من قلمهم حننا .

(٤٣) السندول : الأسفار ، ليلاني : ليختر ، تملح : تبدد ، الصلب : العمود القفري ، أردف : ألحق ، الامجاز : جمع مجز : مؤخر الشيء ، ناء بالحمل : نقله ، التكثل : الصدر .
(٤٤) انظر : بغية الإيضاح ص ١٢٦ ، والبالغة التطبيقية ص ١٤٤ وما بعدها .

الاستعارة الأصلية والتبعية :

١ - الاستعارة الأصلية :

قال تعالى : « كتاب أنزله إليك فنخرج النحاس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » مرت بك هذه الآية وعرفت أن الظلمات والنور مستعارتان للضلال والهدى بقرينة (أنزلناه إليك) والظلمات والنور اسبان جليدان .

وتقال المتيى :

حيات إليه من نسائي حذيفة

سقاها الحجا سقى الرياض السحاب

تلكمة (حذيفة) مستعارة للشعر الجليل ، وتقال على ذلك قوله (من نسائي) وهي كذلك جادة غير مشتقة .

وقال المتيى كذلك أى مطلع تصنيد يمدح بها بدر بن عمار :

فى الخد ان عزم الخليط رحيلا

مطر نريد به القسود محسولا (هـ)

تلكمة (مطر) مستعارة للذوق الغزيرة بقرينة (فى الخد) وهي كذلك جليسة .

وتقول : زرت اليوم حانيا ، نقصد بحاتم رجلا كريما ، فلنفظ (حاتم)

مستعار للرجل الكريم ، والقرينة على أنه ليس حاتما الحلى فوك :

(اليوم) . كما تقول : استجعت الثيلة إلى قس ، نقصد به رجلا يلغيا ،

وقس مستعار للرجل البالغ ، وليس مقصودا به قس بن ساعدة الأيضى بذليل كلمة (الليلة) فهذه الاستعارات وما ملأها من كل ما

(هـ) الخليط : الذى يخالطه المراد به هنا : الحبيب ، محولا : جديا .

(م ٨ - دروس تعليمية)

كل من المستعار فيه جليدا غير مشتق تسمى بالاستعارات المستعارة ، وقد حصرها البيهقيون في اسم الجنس ، الذي يدل على ذات سالحة لأن يصدق على كثيرين ولو تأويلها من غير اعتبار وصف من الأوصاف في الدلالة ، ويشمل اسم الجنس اسم العين الذي يصلح باعتباره وشبهه لأن يصدق على كثير مأل : بحر وأسد ، وما يصلح بعد التأويل فيه لأن يصدق على كثير مأل : حاتم وقس ويسم المعنى المصالح لأن يصدق على كثير كالنطق والفهم ، ولعلك تدرك أن الاستعارة لا تجرى في الأعلام الشخصية إلا في تلك الأعلام التي تضمنت أوصافا تمسكت واشتهرت بها وغلبت عليها ، حتى تنوسيت ذاتها ، وذلك تلحق بأسماء الأجناس التي تصلح لأن تصدق على كثيرين كحسام المنهن الجيود ، وقس المنهن الفصاحة ، وبادر المنهن البخل ، وبادر المنهن النى والنهاية وذلك كله للوفاء بحق الاستعارة من ادعاء فضول الشبه في الشبه به (٤٦) .

٢ - الاستعارة الطبيعية :

قال تعالى : (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) (٤٧) فلفظ « اصدع » مستعار للتأنيح يجساج التأثير في كل منهما ، والفريسة « نيا تؤمر » وهو فعل اذا تسمى الاستعارة فيه تبعية .

وقال تعالى : (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة أن انبشوا فلبنا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين) (٤٨)

(٤٦) انظر : البلاغة التطبيقية د. أحمد موسى من : ١٢٨ ، وما بعدها .
(٤٧) سورة الحجر : ٩٤ .
(٤٨) سورة الأعراف : ٥٠ .

نذكر « أصحاب النار » دليل على أن لفظ « نادى » يستعمل في غير
معناه الحقيقي فهو فعل ماضٍ والرداد به النداء في المستقبل ، وقد
استعمل النداء في الماضي للنداء في المستقبل للدلالة على تحقق الوقوع ،
ولما كان فعلاً من الاستعارة تمعد تسمية .

وقال ثابت شراً ، يصور شجاعته حيث زعم أنه قتل الغول :

فاضربها بـ بلا ذهش ، فخرت

صريعاً لليسدين وللجيران

نقد دل السياق على أن المراد باضربها ، ضربهها — وعلى ذلك
فاضربها وهو فعل مضارع يدل على الحال أو الاستقبال مستعمل
لضربه في الماضي بجواب شدة الانكشاف والظهور في كل منهما ،
والاستعارة تسمية لأنها في الفعل .

وقال شاعر بخليل مائراً :

أتت في خضراء ضاحكة

من بكاء المعارض الهين

نقد دللتنا كلمة « خضراء » وهي صفة الموصوف محذوفة أي :
جنة أو روضة خضراء على أن « ضاحكة » مستعمل لتنتج الأثر
بجواب ظهور البيناس في كل منهما ، وهي مشتقة لأنها إسم فاعل
لذا كانت الاستعارة تسمية ، كذلك دللتنا إضافة « البكاء » إلى
« المعارض الهين » وهو السحاب الكثير الانصباب على أنها مستعملة
لمعنى المطر بجواب التفرقة في كل ، غير أنها جادة وليست مشتقة ،
لذا كانت فيها أمسية .

وقال أخسر :

ولئن نطقت بشكر برك بملصحا

فلسان حالي بالثكالية تطبق

فالسند « أتلق » إلى ضمير « لسان حالي » أماننا أنها مستعمارة للدلالة بجساع إشباع المعنى في كل منهما ، وهي مشتقة لأنها لعل لتفصيل ، فالاستعارة فيها تسمية وقال تعالى : « ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون » قالوا يا ويكتا من بعنا من مرقنا ، هذا ما وعد الرحمن وصلى الرسول (٤٩) .

فقد برت بك هذه الآية فيما مضى ، وعرفت أن كلمة « مرقنا » مستعمارة لليسوت بجساع « خفاء الأثر في كل منهما » وبقرينة « بعنا » وهي مشتقة لأنها اسم مكان ، فالاستعارة فيها تسمية .

وقال تعالى : « قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لمعلى هدى أو في ضلال مبين » (٥٠) استعمال حرف الجر « في » مع « ضلال مبين » يدلنا على أن « على » مستعمل في غير معناه الحقيقي ، « في » للقرينة « وعلى » للاستعلاء ولذلك خولف بين حرفي الجر في التفسيرين « ووضعت « على » مكان « في » لأن صاحب الحق كانه يستعمل على درس جواد يركض به حيث شاء ، وصاحب الباطل كانه متقمس في ظلم متخفى فيه ، لا يدري أين يتوجه فتأمل هذه الدقة وتلك البلاغة التي لا تتبدل إلا في كلام رب العزة ، ولما كانت اللفظة بالمستعارة حرفاً فإن الاستعارة تعدد تبعية .

(٤٩) سورة يس : ٥١ ، ٥٢ .
(٥٠) سورة نساء : ٢٤ .

ومن ذلك قوله تعالى : (إيا الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والإئسفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل غريبسة من الله والله عليم حكيم) (٥١) ندد بـسائل : لماذا عدل من « اللام » إلى « في » في الآية الأخيرة ؟ ورد « ابن الأثير » على ذلك بأنه لا بد أن يكون أرسخ في استحقاق الصدق عليهم من سبق ذكره بالسلام لأن « في » للوعاء فليسه على أنهم أحق به بأن توضع فيهم الصدقات ، كما يوضع الشيء في الوعاء ، وأن يجعلوا بطنه لها ، وذلك لما في ذلك الرقاب وفي القسم من التخلص ، وتكرير « في » في قوله « في سبيل الله » دليل على ترجيحه على الرقاب وعلى الغارمين ، وسبق الكلام أن يقال : وفي الرقاب والغارمين وسبيل الله وابن السبيل ، فلما جئنا إلى مرة ثانية ونصل بها بين الغارمين وبين سبيل الله فلم أن نسبيل الله لوكد في استحقاق التلقة فيه (٥٢) .

فدأب هذه اللطائف ولك الدقائق التي كان سببها استعمال حرف مكان آخر والاستعارة فيه تبعية لأنها في الحرف .

وقال تعالى : « ولاصليتم في جفوع التخل (٥٣) » عرفت أن « في » نظرية ، والجذوع لا تصلح أن تكون ظرفا للمصلوبين ، فكان الظاهر أن يقال : « على جذوع التخل » ، ولكن بدل من ذلك المصطلح الجفوع من المصلوبين كمكان الطرف من المطروقة ونسج « في » « موفنتج » على « فالاستعارة فيه تبعية .

(٥١) سورة التوبة : ٦٠ .

(٥٢) انظر : المثل السائر ٢/٢٤١ .

(٥٣) سورة طه : ٧١ .

وقال أبو نواس :

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة

فلقد علت بأن عفوك أعظم

عرفت أن الغريب ينسدى بالهزمة وإي وإن البعيد يتأذى باليساء
ولما وهبها وغيرها عند الكلام على الأساليب الانتشائية ، وسأل فقال
لك : هل الله بعيد منها فتأذيه بها ، والإجابة أن ذلك للحظ بلاغي هو :
الدلالة على عظمة الأولى عز وجل ورغبة منزله ، تنزيلا ليعبد منزله
منزلة البعد في المسافة ، فوضعت « يا » موضع الهزمة لتحقيق هذا الاعتبار
على سبيل الاستعارة التبعية .

وقال الشاعر :

فمساكن نعيمك الأراك تفتنوا

بأنكم في ربيع قلبي مسكان

النداء بالهزمة وإن كانوا بعيدان عنه ، للدلالة على أنهم دائما في
قلبه لا يغيبون عن خاطره ، فاستعيرت الهزمة من معناها الحقيقي وهو نداء
الغريب لنداء البعيد تحقيقا لهذا الفصح على سبيل الاستعارة التبعية .

فالاستعارة في كل ما مضى من المشتقات والمضمرات تبعية ،
وسميت الاستعارة في الأفعال والمشتقات تبعية ، لأن الاستعارة فيها
تابعة للاستعارة في معاني مصادرها وسميت تبعية في الحروف لأن
الاستعارة فيها تابعة للاستعارة في متعلقات معانيها .

وخلاصة ما مضى أن اللفظ المستعار إن كان اسم جنس فإن كان
إسم عين وشما أو ثوبلا أو إنسم معنى فإن الاستعارة فيه أصلية ،
وإن كان مشتقا : فعلا بالنفسيا أو مضارعا أو أمرا أو إنسم فاعل أو مفعول

أو صيغة مثنوية أو فعل ففعل أو اسم آلة أو اسم زمان أو مكان أو حرف
معنى مثل من وفى وبأ والهمزة واللام فإن الاستعارة فيه قيمة . وكانت
الأولى أصالة لأنها تجرى على نفس المستعار . وكانت الثانية ديمومة لأنها
في الفعل والمشتقات تجرى أولاً على المصدر (المصدر) ثم يتبع ذلك
الفعل والمشتق .

وعلى الحرف تجرى أولاً على معنى الحرف الكلى ثم يتبع ذلك الحرف
المستعار .

الاستعارة التصريحية والمكتوبة :

قال المتنبي وقد قبله بحذوقه وعائنه :

فلم أرَ قبلى من مثي البحر نحوه

ولا رجلاً قامت تماثله الأسد

فالبحر والأسد مستعاران للكرم والشجاع للبلافة فهما بقرينة :
مثى ، وتماثله والتشبه كما ترى محذوف ، والموجود مخلصاً هو التشبيه
به على كلاً الاستعارتين لذا تسمى الاستعارة تصريحية للتصريح بالمعنى
التشبيه به . أمثلة : لأن المستعار اسم وقال من مدح سيف الدولة :

أما ترى ظفراً حلوا بسوى ظفر

تصانعت فيه بيض الهند والليم (٥٤)

فاستناد تصانعت إلى « بيض الهند والليم » لئلا يأن أنها مستعملة
في غير معناها الحقيقي وإن المراد بهذا اللفظ جميع المشابهة ، فاستعير

(٥٤) بيض الهند : السيوف ، والليم : جميع لينة ، وهى الشجر المجاور
شجرة الأبن ، والمراد بهذا الرؤوس أى : إنك لا تعد الانتصار
جديلاً إلا بعد معركة تتلانى فيها السيوف بالرؤوس .

الجمالح للثاني ، واشتق منه « تصانحت » بمعنى ثلاث على سبيل
الاستعارة التصريحية للتصريح بالشبه به « تيمية » لأنها في الفعل .

فالاستعارة التصريحية : ما طرح فيها بلفظ المشبه به وتكون أسلية
إن كان السعارة اسما كما في المثال الأول ، وتيمية إن كان يشتقا كما
في المثال الثاني .

الاستعارة المكنية

وقال المتن في مدح سيف الدولة :

خيس يشرق الأرض والغرب زحفة

وفي الآن الجوزاء منه زمارم (٥٥)

أي أن هذا الجيش لكثرة بلا الشرق والغرب ، وبلغت أموات
جندة الساعات البعده حتى وصلت إلى الجوزاء ، المعروف أن الجوزاء
لا اذن لها ما يدل أن في الكلام تجوزا وأنه أراد التعبير عن قصده
تشبيه الجوزاء بـ « زمارم » ثم حذف المشبه به واثبت للمشبه
خاصية من خواصه وصفة من صفاته ، وهي الآن
وإثبت الآن للجوزاء قرينة على أنها مستعملة في غير معناها الحقيقي ،
وتلاحظ أن المشبه به مضاف وإن الموجود هو المشبه ومعه لازم من
لوائيم المشبه به لذا فإن الاستعارة فيه تسمى استعارة مكنية .

وقال اليقسا : ولما قلت الإبل اجتينا

إلى ابن أبي سليمان الخطوبيا

(٥٥) الخيس : الجيش لأنه خمس لرق وهي : الخنفة ، والقلب ،
والهيفة ، والجيرة ، والساقة ، الزحف : التقسيم ، الجوزاء : برج
في السماء ، الزمارم : جمع زيمة والراد بها هنا : مسوت
لا يلزم لتداخله .

أي من الخطوب والأحداث كتبت له جواب في الوصول إلى المدوح
حين مررت عليه الإبل .

وذكر « ابتليتنا » واستأده إلى « الخطوب » يريد أن في الكلام تجوزا
لأن الخطوب لا تتركب ، وأنه تشبيه الخطوب بالإبل فسم حذفت المشبه به
ودل على حذفه بذكر خاصية من خواصه وإيادها للمشبه وهي « ابتليتنا »
ولما كان المشبه به مملوفاً ليل الاستعارة فيه مكتبة .

وقال الحجاج في إحدى خطبه : إلى لاري رؤوسا قد ابتعت
وحن تملأها وإني لمأحبها فذكر « ابتعت » وحن تملأها يريد أن في
الكلام تجوزا ، وأنه أراد أن يبلغ في استحقاق هؤلاء الخارجين عليه
للعقوبة ، وإن الوقت قد حان للأخذ على أيديهم بشيء رؤوسهم
بالماء ثم حذفت المشبه به وزمل إليه شيء من لوازمه وهو « ابتعت
وحن تملأها » ، وإيادت ذلك المشبه بغيره أو استعارة تخيلية وهي
قربة المكتبة . والاستعارة تسمى مكتبة .

ومن الاستعارة المكتبة كذلك قول أبيه :

وغداة ربح قد كشفت وقرة

قد أصبحت بيد الشمال : زعمها (٥٦)

يفخر بأنه يبيع مادية البرد عن الناس بكلماتهم ، وإفساد النار
لهم ، لأن ذلك وقت الجذب عندهم ولذلك جعل الشمال بذاً ، ومعلوم
أنه ليس هناك أمر ثابت حصاً أو عقلاً تجري البيد عليه ، كإجراء
الأسد على الرجل الشجاع ، ولكن لما شبه الشمال بتصريفها للقررة
على حكم طبيعتها في التصريف بالإتساع المصروف لما زعمه بيده أثبت

(٥٦) القررة : البرد ، والشمال : لبرد الرياح .

لها بدا على سبيل التخييل خيالة في تشبيهها به ، وحكم الزعم
كذلك في استعارته للقرة حكم اليد في استعارتها للشمال ، فجمعيل
للقرة ربما ليسكون الم في اثباتها مصرفة كما جعل للشمال بدا ليسكون
أبلغ في اثباتها مصرفة ، فوحي المبالغة حقها من الطرفين ، والوجود من
أركان الاستعارة في كل هو المشبه لذا فإن الاستعارة مكتبة .

ولا يخفى عليك بعد ما سبق تبين الفرق بين الاستعارة التصريحية
والكتبة ، فالصريحة ما صرح فيها بلطف المشبه به وكانت قرينتها لفظية .
فعلا أو مائلا . أو منعولا أو مجسورا أو خيالية تنبى من سبيل
الكلام ، وكانت عملية التشبيه فيها ظاهرة وواضحة لا تحتاج إلى
معمولة في الوقت عليها ، والمكتبة ما حذف منها المكتبة به وبقى
المشبه ، وأن قرينتها في إثبات لازم المشبه به للتشبيه . وعطية التشبيه
فهي تنبى في لطفه وخسب به حيث تحتاج إلى معاناة وتعب في الوصف
عليها لذا سميت استعارة مكتبة وكانت أكثر بلاغة من التصريحية لها
متفوجبه من مجهود فكرى وذهنى في تأليفها والإحساس بروعتها .

فانفتح إذا انشاما لا بدع للشك بجلا وجه التفرقة بينهما .
وقد عرفت أن قرينة المكتبة هي إثبات لازم المشبه به للمشبه ،
وهذا الأمر المخصص بالمشبه به المثلث للمشبه منه ما لا يكمل وجه المشبه
في المشبه به بدونه ، كما في قول أبي ذؤيب البذاي :

وإذا المية انشبت انشارها

التي كل تيمة لا تنفع (٥٧)

(٥٧) المية : الموت - انشبت : ملقت ، التيت : وجدت ، والتيمة : خزة
يجعلونها بمعازة من العين والجن .

فإنه شبه المني بالسيح في اغتيال النفوس بالقتل والطلبنة من غير
تفرقة بين نفاع وضرار ولا رقة لرحوم ، ولا بقيا على ذي مشيئة ،
فأثبت للمنية الأظفار التي لا يكمل ذلك من السبع بدونها تحقيقا للمبالغة
في التشبيه ، ومنه ما به يكون قول وجهه الشبه في المشبه به كما في
قول الآخر :

ولأن نطقت بشكر برك بنصحا

فلسان خالي بالثباتية تطبق

فقد شبه الحال الدالة على المقصود بلسان يتكلم ، وأثبت لها
اللسان الذي به قوام الدلالة في الإنسان (٥٨) .

الاستعارة التبعية يمكن ردها إلى المكتبة :

عرفت في قوله تعالى : (ولما سكوت عن موسى الغضب لشدة
الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) (٥٩)
أن في قوله « سكوت » استعارة تصريحية تبعية بقرينة « الغضب »
حيث شبه انتهاء الغضب بالسكوت بجوامع الهدوء الكثرية على كل
مثها لشم استعار المشبه به للتشبه واتساق بينهما : « سكوت » بمعنى
التنهي على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، ويجوز أن تكون
الاستعارة مكتوبة وموطنها قرينة التصريحية التبعية ، فيقال : شبه
« الغضب » بلسان وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو :
« سكوت » وإثبات السكوت للغضب تخيل أو استعارة تخيلية وهي
قرينة المكتبة .

(٥٨) انظر : بغية الإيضاح ص ١٥٤ وما بعدها .
(٥٩) سورة الأعراف : ١٥٤ .

وكذا يجوز أن تجعل كل استعارة تسمية مكتبة ويكون موطنها
قرينة التسمية هذا من حيث الجوار ، لكن التسمية هو ما يقتضيه المقام
ويستدعيه الحال ، ولا شك أن الأنسب بالمقام فيما سبق هو اللفظة
في انتهاء الغضب وتشبيهه بالسكوت الذي يدل عليه التصريح بالنية .
لذا كانت هي الأولى والأليق .

الاستعارة المقلقة والجسدة والمرشحة :

علمت أن معنى الاستعارة على تناسل التشبيه وأدعاء أن التشبيه واحد
من السواد الغلبة به وإدخال في جنسه ، فكل ما يذكر في الأسلوب الذي
وردت فيه الاستعارة مما يقوى هذا الأسلوب ويدعمه فبفه يعسّد مقولاً
لأسر الاستعارة وناصراً لها ، وكل ما يثقل من الانحداد ويضعف من
شأنه ففقه يهد في غير مبالغ الاستعارة ، وبالنسبة إلى الأساليب التي
وردت فيها الاستعارة نراها قد تنقسم إلى ثلاث فئات : الأولى هي
بلاط المستعار منه ونسب الاستعارة آنذاك مرشحة ، وقد تنقسم
بها بضعف هذا الأسلوب مما يلائم المستعار له ونسب الاستعارة حينئذ
مجبورة ، وقد لا تنقسم الاستعارة بشيء بلاط المستعار منه أي المستعار
له ونسب مقلقة ، وتطلب الاستعارة بالقب من الكسب السابقة لا يكون
إلا بعد استيفائها للقرينة ، لأن القرينة كما علمت من نسب الاستعارة .
الاستعارة المقلقة :

قال تعالى : (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) (١٠) في
آية استعارة تصريحية تسمية في « طغى » فقد شبهه الفيضان بالظفران
بجسابع مجاوزة الحد في كل ثم تنوس التشبيه وأدعى أن المشبه فرد

من أفراد المشبه به وداخل في جنبه ثم استعمل المشبه به للتشبيه والفتى
بنه « ملقى » بمعنى : جاوز الحد على سبيل الاستعارة التصريحية
التبعية والقرينة هي « لفظ » « الملاء » الذي توسع فاعلا للفعل الذي
وردت فيه الاستعارة ، ولم تقتزن هذه الاستعارة بشيء يلائم المستعار
بنه أو المستعار له لهذا كانت الاستعارة مطلقة .

وقال قزيط بن أنيسف :

قوم إذا المثر أبدى نأجيليه لهم

طاروا إليه زرافات ووحدا(٦١)

يصفهم بالإنداد على الكثرة والإسراع إلى الضدات دون أن يشكل
بعضهم على بعض ، فقد شبه المثر بالسبع بجلبع حصول الشر في
كل ثم تنوب التشبيه وأدى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل
في جنبه ، وحذف المشبه به وأشار إليه بشيء من لوازمه وهما :
الناجذان وإبلات الناجذين للشر تخيل أو استعارة تخييلية وهي قرينة
المثلية ، والاستعارة المطلقة لعدم اقترانها بعقد استيفاء القرينة بشيء
يلائم للمستعار له أو المستعار منه .

وفي : طاروا كذلك استعارة تصريحية تبعية مطلقة .

وقال الشاسم :

سقاك وحيانا بك الله إجميا

على العيس تور ، والخضور كماله(٦٢)

(٦١) الناجذان : النابان .

(٦٢) العيس : الإبل البيض التي يخالط بينها شيء من الشقرة وأحدها
عيس والآخر عيساء ، النور الزهر أو الأبيض منه : الخضور
جميع خضر وهو البستر ، الكمال : جمع كماله ، وهي فطاء النور .

فإنه يدمو محبوبته بالسيف، وأن يهيبا الناس بها كما يحيون بالأزهار .

وفي كلمة « نور » استعارة تصريحية أصلية بقرينة « على العيس » فقد شبه النساء الجذيلات بالنور بجامع الحسن فبها سم تنوى التشبيه وأدعى أن الحببة فرد من أفراد الحببة به وداخل في جنسه ثم استعار الحببة به للشمعة على مسيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، ويمد أن ثبت الاستعارة بذكر القرينة أتبعته بلفظين أحدهما يلائم المستعار له وهو : الضفور الذي يناسب النساء والأخر يلائم المستعار منه وهو « الكحل » الذي يناسب النور ، فالجتماع الترشيح والتجسيد فكثرت الاستعارة في حكم المطلقة لتعارضها فكانها لم يتركها .

فالاستعارة المطلقة تصريحية أو مكنية ، ما لم تفتقر بعد استيفائها القرينة إما يلائم واحداً من ركلي الاستعارة ، أو فرت بما يلائمها معاً .

الاستعارة المجسدة :

قال تعالى : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكثرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » (٦٢) غنى كلمة « لباس » استعارة تصريحية أصلية ، فقد شبه أثر الجوع والخوف وضررها المحيط بهم باللباس بجامع الاشتغال والإحاطة في كل منهما والقرينة هي إفسانة اللباس إلى الجوع والخوف . وقوله : « فإذاها » يلائم المستعار له ، لأن المراد بالإذاعة هو إلباسهم بما استعير له اللباس وهو الضار والآلام التي

تترتب على الجوع والخوف ، بالإضافة بهذا المعنى بلاتم المستعار كنه ،
واستعمال الإذاعة في الإجابة كما ذكر الزمخشري : استعارة جئرت
مجرى الحلق ، لحيوها في الجلاها والشدائد ، حيث يقولون : « ذاق
فلان البرؤس والشر ، وذائقه المذاب » (٦٤) . ولو أنه سلك بالاستعارة هنا
مبلك الترشيع لفسل : فكسها الله لباس الجوع والخوف ، لأن الكسوة
ملأية للباس ، وأوتر التجريد على الترشيع — مع أن الترشيع يبلغ ،
لأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من غير عكس ، ففي التعبير
بالإذاعة استعار بشدة الأصلية بخلاف التعبير بالكسوة .

وقال الشاعر :

فإن يهلك فكل عمود قوم من الدنيا إلى هلك يصير

ففي كلمة « عمود » استعارة تصريحية أصلية ، فقد شبه رئيس
القوم بالعمود بجامع التحمل والتسيان بأعم الأمور في كل لا تخم كنوس
التشبيه وادعى أن ألقبه فرد من أفراد القبة به وداخل في جنبه واستعير
المشبه به للشبه على منسبيل الاستعارة التصريحية الأصلية والقرينة
« يهلك » وقد ثبت الاستعارة بما يضعف من الأسس الذي ثبت عليه
وهو قوله : « إلى هلك يصير » الذي يلائم المستعار له ومن ثم كانت
الاستعارة مجسدة .

وقال كثير عزة :

غمر الرداء إذا تبسم فهاجكا

فلقت لضحكته رقاب المال (٦٥)

(٦٤) انظر : بغية الإيضاح ١٤٠/٢ ، ١٤١ .

(٦٥) فلقت : تسكت .

المفرداء وهو الشوب مستعار للمعروف على سبيل الاستعارة
التصريحية الأصلية ، لأن المعروف يصون عرض مساجبه مسون الرداء
لسا بلقى عليه ، وقوله : « تبسم ضاحكا » قرينة على ذلك والمراد منه :
أن تبسم المفعول كلفه في إيصال المسال إلى العفة والسائلين ، وتكثفهم
منه ، بحيث لا ينك من أيديهم ، كما لا ينك الرهن من يد المرتين
إذا حل أجل الدين وتعذر الوفاء ، وقوله : « غير » أن أريد به كثير
من غير الماء أي نكر فيكون تجريدا لأنه مما يلائم المستعار له ، وإن
أريد به الاتساع من قولهم : توب غامر أي واسع فيكون ترشيفا لأنه
مما يلائم المستعار منه .

وقال الجحترى :

يؤدون التحية من بعيد

إلى قبر من الإيوان بالـ (٦٦)

ففي لفظ « قبر » استعارة تصريحية أصلية ، فقد شبه به المدحج
بجامع الجهات والتألق فيهما والقرينة : يؤدون التحية ، وقوله « من الإيوان »
بـ « يلائم المستعار له فهو تجسيد .

فالاستعارة المجردة كما رأيت ما قرنت بها يلائم المستعار له بعد
استيفائها للقرينة وسيت مجردة لتجريدها الاستعارة عن الأساس الذي
تعتمد عليه وهو تناسي التشبيه وإدعاء أن المقية فرد من أفراد المقية
به وداخل في جنسه .

(٦٦) الإيوان : البناء الضخم العظيم .

الاستعارة المرشحة :

قال تعالى : أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم
 « ١٠٠ كلمة مهملتين » (٦٧) في الآية الكريمة استعارة تصريحية تبيح في
 لغة : اشتروا ، فقد شبه اختيار الضلالة على الهدى بالاشتراء بجائع
 التفرع في كل ، ثم تنويع التشبيه وأدعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه
 به وداخل في جنسه واستعير الاشتراء للاختيار واشتق منه « اشتروا »
 بمعنى « اختاروا » على سبيل الاستعارة التصريحية التبيعية والغرضية
 اقتناع الاشتراء على الضلالة ، وقد قرنت الاستعارة بعهد استيفاء القرينة
 بما يتبدى المبالغة في نقاسي التشبيه وما يلائم المستعار منه وهو « فما
 ربحت تجارتهم » لذا كانت الاستعارة مرشحة أي قوية .

وقال الشاعر :

ينكزني ردائي عبيد عمر

رويكك يا اخا عمرو بن بكر

في الشطر الذي جلتك بعيني

ودونك فاعتجر منه شطر (٦٨)

في قوله : ردائي : استعارة تصريحية لصلية ، فقد شبه السيف
 بالرداء بجائع الضقة والسون في كل ثم تنويع التشبيه وأدعى أن المشبه
 فرد من أفراد المشبه به وداخل في جنسه واستعار الرداء للسيف على

(٦٧) سورة البقرة : ١٦ .
 (٦٨) رويك : اسم فعل بمعنى أمهل ، بكر : أبو قبيلة ، الشطر :
 النصف ، دونك : اسم فعل بمعنى خشد ، اعتجر : من الاعتجار ،
 وهو لك الرأس بثوب وتحموه ، والمراد بالشطر الذي ملكته يميني :
 يميني السيف ، وبالشطر الأخر : صفري .
 (١٠٠) من فزوزن طليقته .

مسبيل الاستعارة التصريحية الأصلية والتزيينية بدل عليها السياق
نهي حالبة ، وقد قرنت الاستعارة بما يقوى أمرها ويؤكد تناسي
التشبيه الذي يثبت عليه وهو « امتجر » لأن الامتجار هو لف الراس
بثوب ونحوه فهو ملائم للمستعار منه وبذا أصبحت الاستعارة مرشحة .
التجريد ثم الإطلاق ثم الترشيح :

ولما كان التجريد مضعفاً للتأني التشبيه الذي يثبت عليه الاستعارة
كان إلى المرتبة الأدنى ، يليه الإطلاق حيث تنكر فيه الاستعارة فحسب
مقبولة بما يقويه أو يعضدها ، أو تتبع بواحد من هذا وواحد من ذلك
فتكون في حكم المطلقة وإن مرتبتها ، تأتي بعبد ذلك الاستعارة
المرشحة نهي في المرتبة الأعلى لأن الترشيح يلتقي مع الأصل الذي
قالت عليه الاستعارة فيشد أثرها ويقوى أمرها ، إذ يزيد من تقاسي
التشبيه ، ويخيل لتسامع أن المستعار مستعمل في حقيقته وإن التشبيه
لم يجسر ببال ومن ذلك هذا ما سبق قول ابن تيم :
ويصمت حتى يقن الجاهول بان له حاجة في السنا

فقرله : حتى يقن الجاهول أكدت أن السعود المستعار لعلو
فسر المدح حقيقة وإن أمر التشبيه يعود .
وقال أبو الطيب المتنبي :
كبرت حول ديارهم لما يحد

منها الشموس وأيس فيها المشرق
فقد استعار الشموس للمدح بجليل الرفعة والبهاء والتزيينة
« يحد » والبيع الاستعارة بما يقوى أمرها ويوهب لها شمس حقيقة حيث
تطلع من جهة المغرب لا من جهة المشرق .

من ذلك قول : ابن العميد في غلام حسن فلم على راسه يظلمه من الشمس :

قامت تظللني من الشمس
نفس اعز على من تسمى
قامت تظللني ومن عجب
شمس تظللني من الشمس

فقد استعار الشمس للمذبح ، ثم ذكر ما يعين على تناسي التشبيه ويوهم ان المستعار يستعمل في حقيقته وهو قوله : ومن عجب ، فزاد الاستعارة قوة ولكسبها بعدا .

ويبقى الا يغيب عن خاطرك ان علو الاستعارة المرشحة ودنس الاستعارة المجردة إنما يتصل بالقتل الذي وردنا فيه ويعلق بالقسم الذي ذكرت فيه كل منهما ، والمرشحة تنوق المجردة إذا كانت منسوبة للقسم الذي وردت فيه ، والمجردة تكون أكثر بلاغة إذا كان المقام لها ، ولذلك كان التجريد في قوله تعالى : (فإلا نقول : الله ليس بالجوع والخوف) أبلغ من الترشيح لانه أكثر تلاؤما وأشد تناسبا ، إذ ان التعبير بالإذاعة يفيد الإشمار بشدة الإنسانية بخلاف التعبير بالكسوة ، وكذا جميع استعارات القرآن الكريم وردت كل منها في مكانها وصانعت موعظا وناسيت الحال التي ذكرت فيها ، فلم تأت عن تكلف ولم تنسأ عن تصنع ولم تعمل في تسجيها كما يكون بعض الاستعارات في غير القرآن ، ولذلك كان لها الأثر البالغ في المذهب الذي أحسست بروعته واستشعرت جهالة في كثير من الاستعارات القرآنية السالفة ، فالاستعارة في القرآن

كما قرر « عبد القاهر » من مقتضيات النظم ومنها يحدث وبها يكون (٦٩) .

الاستعارة التهكمية :

قال تعالى : (فيشرهم بعذاب اليم) (٧٠) معزوف ان التشهير من البشارة وهي الإخبار بما سر ، فتملأه بالمذاب فليد أنه مستعمل في غير معناه الحقيقي لإسادة التهم والاستهزاء بتكبر وشدة المذاب الذي يلقى من الله عليهم ، فيقال : شبه الإنذار بالتهشير بجساع الأشر فترتب على كل منها ، ثم تلوى التشبيه ولدى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ودخل في جنسه ، واستعار التهشير للإنذار ، واشاق منه : « يشرهم » بمعنى لشرهم على سبيل الاستعارة التصريحية التهجيرية التهكمية ، والقرينة الدالة على ذلك هي : « عذاب اليم » وإذا كانت الاستعارة تزيد المعنى حسنا وتكسبه جدلا كما علمت فإن ملاحظة هذه الأمور الدقيقة وتصور الاستعارة لها مما يزيد من جمالها ويرفع من حسناتها لذا كانت هذه الاستعارة كما رأيت في أعلى المراتب الفنية والأدبية .

وتستلهم هذه الاستعارة بكثرة في مجال التهكم والتجريح وفي الأحاديث الدارجة . كما يقال لأحد الذين يعملون في عملهم : اذهب إلى الرئيس ليكنلك أو يسلم عليك ومن ذلك قول كعب بن زهير :

صبيحة الخزرجية برهفـ

أباد قوى أرومتها فووهـ (٧١)

(٦٩) انظر : دلائل الإجمال ص ٣٥٨ .

(٧٠) صبيحة : قال له : عم صبيحة ، أو سناء الصبوح وهو ما حلب من اللبن ، الخزرجية : نسبة إلى الخزرج وهي من قبائل يثرب ، المرهات : السيوف النبتة الغائصة ، الأرومة : الأصل .

(نصيحنا) مستعارة للضرب استعارة تصريحية شبيهة والقرينة
(مرهقات) ، لأن الصبح بمعناه الحقيقى وهو تحية الصباح أو تقديم
الصباح لا يقع على السيوف ، فيدل ذلك على أن المراد بـ الضرب
على سبيل التهكم بهم .

ونال الشاعر :

واقترى الهزيم الطارقات حزامه

إذا كثرت الطارقات الويساوس

أى : إذا لم يستطع قبرى من الناس مواجهة المصائب وبغلبة
الذرائب رأى الهزيم بالحزم والاعتماد بالحزم ، على (اقترى) استعارة
تصريحية شبيهة تهكمية فقد شبه مثقلة الحشود بالانصراف وهو إكرام
الضيف بجلسه ما يترتب على كل منها واستعمار الإقراء لواجبة اليوم
والثقل منه : (اقترى) بمعنى أواجه على سبيل الاستعارة التصريحية
الشبيهة التهكمية والقرينة الطارقات وحزامه .

الاستعارة التلقيلية :

مر بك عند الكلام على التشبيه أن منه التشبيه المفرد كقولك :
مخيد كالبحر عطاشاً والتشبيه التثنيلى الذى يكون الوجه فيه هيئة
منزومة من متعدد حسياً كان ذلك أو عتلياً على السراى الراجع إلى
التشبيه التثنيلى وهو رأى الخطيب القزوينى كقول الله تعالى فى وصف
أخبار اليهود الذين قتلوا التوراة وحفظوها ولم يعملوا بها فيها
ولا انتصروا بآياتها : « على الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها »

كمثل الحمار يحمل أسفارا بشئ مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين (٧٢) فالشبه ليس اليهود فقط ، ولكنه مؤلف من اليهود الذين قرأوا التوراة وحفظوها ولم يمشوا بها فيها ولا انتفعوا بآياتها والشبه به ليس الحمار فقط ولكنه مركب من الحمار يحمل أسفارا هي كنز العلم ومستودع المعرفة ولا حظ له بها إلا الكد والتعب ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تحمل الثعب وبذل المشقة في استصحاب الشيء مع الجهل به .

وفي قول بشار :

كل منار القمع فسوق راوسنا

ولسنا لنا ليل تهوى كواكبسه

تجد التشبيه مركبا لا يصح فيه تشبيه كل جزء من طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر حيث لا يتم المعنى ولا يتكامل وجه التشبيه بذلك فلا يستقيم تشبيه المنار بالليل والأسياف بالكواكب ، وإنما يتحقق التشبيه ويتم بتشبيه المنار المقود فسوق رؤوس النصارى في ميدان القتال وقد لعت فيه السيوف أو الأسلحة بالليل المظلم الذي تهوى كواكبه . ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تهوى الأسلحة مشرقة مستطيلة بيض في جوارب شيء مظلم أسود .

كما عرفت أن التشبيه التمثيلي من التشبيهات البعيدة الغريبة التي تحتاج إلى تص في الإحساس بجمالها وبروعة في الوقوف على بلاغتها لإجماع سبب البعد فيه وهما : كثرة التفصيل في وجه الشبه وقسرة تكرار المشبه به على الحواس .

عرفنا كذلك عند الكلام على المجاز المرسل أن منه المفرد كتأويله تعالى حكمة من سيننا نوح عليه السلام « وإني كئيب دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً » (٧٢) فأصابعهم مجاز مرسل علاقته الكمية والمراد الأتيل وسبر التجول بالأصابع كما عليت هو الجبالفة في مسدهم عن دعوتهم وعدم إلتجابتهم لأوامر الله وبلوغهم في ذلك الغاية لدرجة لهم لو لكتهم أن يخلصوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسموا من كلامه حرقاً وأحدنا لساتردوا في ذلك .

ومنه المركب كالخبر حينما يراد به غير مقتضيه الأساسين من التائدة ولازم التائدة كالنصر والجزن مثلاً في قول الشاعر :

هواى مع الركب اليائسين هصمد

جئيب وجسماني بكفة مولى

فيعلم من الخبر أن هواى وتعلقه بالأخوة الذين رحلوا وإن كان جسمه بكفة « لكنه يريد إظهار النحر والجزن على مشاركة الأوبة . وكذلك من المجاز المرسل المركب استعمال الإنشاء في الكبر كتأويله : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » تأويله : فليتبوأ مقارع مقرون بسلام الأمر « فهو امر يأتوا لكن الغرض منه الإخبار بحصول التيسوء فعلاً لأن يعتمد الكذب على رسول الله ﷺ .

ولامتداد الاستعارة على التشبيه كما عليت فليتبأ بجيء مثله مفردة ومركبة ومث المجاز المرسل كذلك إذ يفتقان في أن كلا منهما مجاز لغوى .

والاستعارة لهما معنى من الامثلة كانت في الاصطلاح المفردة سواء
اكتلت صريحة أم مكتوبة ، فهي استعارة مفردة ، فلتعرض الآن للاستعارة
التي تتعلق بالتركيب ، فلا تقتصر على لفظ ولا تبتذل في كلمة بمعناها ،
وهي ما تعرف بالاستعارة التمثيلية .

من ذلك قوله تعالى : « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه » (٧٢) فقد شبه الأرض في تصرفها بأمر الله تعالى
وقدرته بالشئ يكون في قبضة الاخذ له بشأ والجاذب يده عليه ،
ثم توسى التشبيه وإدعى أن الشبه عرود من أسرار المشبه به وداخل
في جنسه ، واستعار المشبه به للشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية ،
وكذا قوله تعالى : (والسموات مطويات بيمينه) قيهت السموات في
جميعها وانقلعها استجابة لأمر الله تعالى بالكتابة المطوى بين الإنسان
واستعير المشبه به التشبيه على سبيل الاستعارة التمثيلية وخص اليمين
لانها اشرف اليدين وقوامها ، والتي لا غناء للأخرى دونها ،
فلا ينهض إنسان لشيء إلا بسدا بيمينه فهاها لزاله ، ومتى تمسك
بجمل الشيء في جهة من العنابة جعل في اليد اليمنى ، ومتى تمسك
خلال ذلك جعل في اليسرى كما قال ابن ميادة :

السم الله في يميني يمينك جعلتني

فلا تجعلني بعدها في شمالك

أي كنت مكرما عندك فلا تجعلني مهانا ، وكنت في المكان الشريف منك
فلا تحطني في المنزل الوضيع (٧٥) .

(٧٢) سورة الزمر : ٦٧ .

(٧٥) انظر : بغية الإيضاح ص : ١١٨ .

ومن ذلك ما كتب به الوليد بن يزيد لما يبيع بالخلاصة إلى مروان بن محمد وقد نكأ في البهجة له : (أبا بعد : ماني أراك تقم رجلا وتؤخر أخرى ، فإذا أتاك كليلي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام) فقد شبه صورة تردده في البهجة بصورة من هم للقضاء أمر من الأسور فتارة يريد المني يتحرك وتارة لا يريد يظل واقفا وتلوي التثنية وأدعى أن التثنية نرد من أراد التثنية به وداخل في جنسه ثم استعار هيئة التثنية به للتثنية على طريق الاستعارة التمثيلية .

وبذلك تدخل الأمثال في دائرة الاستعارة التمثيلية : والمثل : قول شبه مفرسه بمورده ، وهي لا تغير كقولهم : (أحسنا وسوء كلفة) فهو يشرب أن يظلم الناس من جهتين ، فقد شبه فيه هيئة من يظلم من جهتين بهيئة رجل الشرى من آخر حسنا (٧٦) بتطريف في الكل ثم استعير التثنية به للتثنية على طريق الاستعارة التمثيلية .

وكقولهم : (فلان يفتح في غير نعم ، ويخط على الماء) وهو يشرب أن يتعب نفسه في غير ما جدوى وبدون ما فائدة . وكقولهم : (قيل الرماة تصلا الكائن) (٧٧) وهو يشرب أن يريد تحقيق أمر بدون أن يعد له عنته . فترى أن الاستعارة فيها مضي فطنت في مجسوع التركيب لا في لفظة بعينها أو كلمة على إنفرادها ولذلك سموها : الاستعارة التمثيلية وعرفها الخطيب التزويني : بأنها اللفظ المركب المستعمل فيها شبه بمعناه الأصلي تشبيها التمثيل للمبالغة في التشبيه أي تشبيه إحدى صورتين منتميتين من أمرين أو أمور بالآخرى ثم

(٧٦) ردى الثمر .

(٧٧) الرماة : رمى السهام : الكائن : جيع كدالة وهي وعاء السهام .

تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مخالفة في التشبيه فنذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه (٧٨) .

والاستعارة التشبيهية كالتشبيه التاملي في كون الشبيه منقوع من المسور بتمدد قد قرن بعضها إلى بعض ، وإن أردت بلفظ أكثر وتجزؤا أوضح إظهار التسريق بين الاستعارة التشبيهية والمفردة فيذكر ما ذكره إمام البلاغة (عبد القاهر) في سرار البلاغة حول ذلك ، إذ بين أن قول داود بن علي (الآن أخذ القوس ياربها) - وإن كان القوس يقع كتابة عن الخلافة والباري عن المستحق لها ، فإنه لا يجوز أن يقال : إن القوس يستعار للخلافة ... وإنما التشبيه مؤلف بحال الخلافة مع التامم بها من حال القوس مع الذي يراها ، وهو أن يباري القوس أعرف بكل ما يملكها ، وإن المستحق للخلافة أهدى إلى القيام بمقوقها وأعرف بأمرها .. وهكذا قول القائل وقد مسح كلالا حسنا من رجل دميم : (غسل طيب في ظرف سوء) لم يقصد فيه إلى بيان حال اللفظ الحسن وتشبيهه بالغسل في هذا الكلام الحسن من المتكلم المشنوء في منظره ، وإنما قصد إلى تيسر إجتاع غسيل الخير ، مع نفس المنظر بالتشبيه المؤلف من الغسل والظرف (٧٩) .

وقد علمت أن التشبيه التاملي أدخل في البلاغة وأبعد في البعد والقراءة لما يتطلبه من إعمال الفكر وكسد الذهن التي يستوجبها حققة الاتصال في وجه الشبه فيه ونسبة تكرار المشبه به على

(٧٨) راجع : بغية الإيضاح .

(٧٩) أنظر : سرار البلاغة ص : ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

الحراس ، والاستعمارة المتبيلة كذلك أكثر بلاغة والطف ببيانا وادق
براعة لكثرة التتميل التي تتطلب جهدا في لم شتاتها وشم اجزائها
والوقوف على الغرض منها .

بلاغة الاستعارة :

قال تعالى : « فلما من ثقلت موازينه فهم في عيشه راضية (٨٠) »
استند راضية إلى خبر ميثقة وذلك خبر ما حقه ان يستند إليه ، لأن
الميثقة يقع عليها الرضا لا منها ، والرضا إما يكون من صاحب
الميثقة ، وكان هذا التجوز في الاستناد للمبالغة في رضا هذا الذي
ثقلت موازينه ومدى ما يحسه من بهجة وسرور ، ولم تكن تلك
المبالغة بدون هذا التجوز الذي كانت المبالغة ثمره من ثلثه
الثانية فهي الإيجاز الذي أعاده التجوز فالقول الكريم أوجز من قولنا :
لقد أصبح يحيا وهو في غابة الرضا ، وقد مررت أن هذا اللون
من المجاز يسمى : المجاز المعنى .

وقا تعالى : « وينزل لكم من السماء رزقا (٨١) » أي مطرا
يكون سبيلا إلى كثرة النعم ووفرة الرزق ، وقد حدد ذلك كلمة (ينزل)
فإن الذي ينزل من السماء هو المطر الذي يحيى الأرض وينبت
الزروع ، والرزق مسبب عن المطر ، وكان هذا التجوز للمبالغة في قيمة
الماء الذي عليه يحيا الإنسان والحيوان والنبات ، ومنطق الله حيث
يقول : « وجعلنا من الماء كل شيء حي (٨٢) » ، ولما كان التجوز هنا

(٨٠) سورة الفارقة : ٦ ، ٧ .

(٨١) سورة الفاطر : ١٣ .

(٨٢) سورة الأنبياء : ٣٠ .

في اللفظ لتفسير علاقة المشابهة كان مجازاً مرسلًا ، ولا يخفى عليك أن المجاز انساب إلى جانب البلاغة السابقة الإيجاز في التعبير وينجلي لك ذلك بالوارنة بين القول الكريم السابق وبين قولنا : ينزل لكم من السماء مطرا يكون سبيلا لكثرة الخير ووفرة الرزق ، هذا إلى تقرير المعنى وتأكيد ذكر البنية وإزالة البرهان فالرزق ينزل من السماء لأن سببه المطر والرزق مسبب عنه ، ولذلك قالوا : المجاز كدهري الشيء بالبنية والدليل .

وقال تعالى : « إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » (٨٢:١٨) وفي الآية التورية استعارة صريحة أصلية في كلمة (الصراط) فقد شبه الذين الحق بالصراط المستقيم بجامع الإعتدال والوصول إلى الجالوب في كل منهما ثم ترمي التشبيه وادعى أن التشبيه غرد من أسرار التشبيه به ودخل في جنسه ثم استعير التشبيه به للتشبيه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، فقد استعملت كلمة (الصراط) في غير معناها الحقيقي لعلاقة المشابهة ، لهذا كانت استعارة .

وقد أفاد هذا التعبير ما سبق من التوائد التي أنشأنا بها المجاز المعنوي والمجاز المرسل من **المبالغة** في نقل الدين وقبلة السير على يادله وتقرير المعنى المراد وتكوينه ، فالسير على طريق مستقيم يصل بك إلى الهدف المنشود ، كذلك التمسك بمبادئ الدين والسير على سنته تحقق لك الخير والإيجاز في التعبير ففرق بين القول الكريم وبين قولنا : إهدنا إلى التمسك بالقيم الدينية ليتحقق لنا الفلاح ،

ويضاف إلى ما سبق من النوائد ، غلدة نشأت من التجوز على مسيل
الاستعارة وهي : **توضيح المعنى وتبيينه بمرضه في صورة مخصوصة**
فيكون أكثر ثبوتاً وأشد استقراراً ، تبدل به القدين بمعنى معقول
أما الصراط المستقيم فإنه أبـ واضح ظاهره فقد رأيت أن المجاز مختلف
الأسوان منه المجاز العقلي والمجازي اللغوي واللغوي منه المجاز المرسل
ومنه الاستعارة ، كما وقعت على أن المجاز على تعدد ألوانه لا يفهم
المراد منه بسهولة وسرعة ، بل بعد ترو وتدبر لما فيه من خفاء
وما به من لطف ، ولذلك يجب أن يتضمن من السوائد الأدبية والأسرار
اليلافية ما يجعل خفاؤه مقبولا ويعده مستغافراً وإلا كانت الحقيقة وكان
الأنلوب الواضح أكثر قبولا منه لعدم الحاجة إلى التعمق العكسي
والجهود الذهني في تليل الإسراد منها سولذلك يقول أبو هلال العسكري
في تعريفه الاستعارة وبسان نوالدها التي لو لم تكن لكنت الحقيقة أولى
منها : « الاستعارة : نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة
إلى غيره لغرض ، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى ونقل الإبتداه
منه أو تكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالتفصيل من اللفظ ،
أو بحسن المعرض الذي يبرز فيه ، وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة
المصيبة ، وسوا أن الاستعارة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة
غلدة لكنت الحقيقة أولى منها استعمالاً » (٨٤) . فيحدد العسكري القيمة
اليلافية للاستعارة فيما سبق من توضيح المعنى وتكيده والمبالغة فيه
والإيجاز ، ويرى أن كل استعارة مصيبة لابد أن تأتي بالعوائد البليقة ،
وإلا كانت الحقيقة أولى منها في الاستعمال .

(٨٤) انظر : الصناعتين : أبو هلال العسكري ، ط الأولى من ٢٠٥ ، وانظر :
النكت في إيجاز القرآن للرباعي حسن ثلاث رسائل في إيجاز القرآن
من : ٨٦ .

فالجفر بصفة عامة لابد أن يتضمن من الأسرار البلاغية ما يذهب بخفائه ويكتب له قبولاً وهذه الأسرار تتلخص كما سبق في المبالغة والتأكيد المعنى وتقويته والإيجاز ، والوضوح ولما كانت الاستعارة تعتمد على التشبيه فإن المعنى بها يكون أكثر وضوحاً وأشدّ ظهوراً حيث تبرز المعنويات في صور محسوسة .

قال تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكثها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار) (٨٥) نلاحظ أن الجرى استند إلى الأنهار ، وإسناد الجرى إلى الأنهار مجاز عقلي علاقته المكثفة ، فالأنهار لا تجري ، والذي يجري هو الماء ، وقد استند هذا التجوز المبالغ في كثرة الماء وسرعة جريانه حتى ليخيل للرائي أن الأنهار هي التي تجري ، هذا إلى جانب التعبير عن هذا المعنى بالقليل من اللفظ .

وقال الشاعر :

لدى أشد شاكى السلاح يصف

له أجد انفساره لم تقلم

فالأسد مستعار للرجل الشجاع ، و « شاكى السلاح » يلائم المستعار له فهو تجرّد ، و « له أجد » يلائم المستعار منه فهو ترشيح ، والاستعارة إذا « مطلقه » لعنصر التجريد والترشيح . وقد استند إطلاق الأسد على الرجل الشجاع ما سبق من الفوائد التي عرنتها وعلى رأسها : المبالغة في وصف الرجل بالشجاعة ، غير أن المبالغة هنا ليست كالمبالغة

فى جبرى الماء فى المبال السلق ، نقول الله عز وجل : (تجرى من تحتها الأنهار) ببدء المبالغة فى كثرة الماء من دولنا : (تجرى من تحتها المياه فى الأنهار) وليست كذلك المبالغة فى الاستعارة ، فالمبالغة فى قوله « لدى أسد » من جهة إثبات الشجاعة للرجل وتقريرها وأنها امر مؤكد بالقياس على ما هو المثل فى الشجاعة وهو الأسد ، لا من جهة أنه فى هذا الاستطوب أكثر شجاعة من نظيره على سبيل الحقيقة وهو : لدى رجل شجاع لا يتترق من الأسد ، ويوضح عبد القاهر ذلك بقوله : « قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإنصاح ، والتمريض أوقع من التصريح وأن للاستعارة مزية وفضلا ، وأن المجرى أبداً بلف من الحقيقة ، فإذا كنت رايت أسداً كان لكذلك مزية لا تكون إذا قلت : رايت رجلاً والأسد سواء فى معنى الشجاعة وفى قوة الطلب وشدة البطش وأتياه ذلك ، وإذا كنت : بلغنى أنك تتردد فى امرئ وأنت فى ذلك كمن يقول : أخرج ولا أخرج فتقدم رجلاً وتؤخر لغيرى ... وأعلم أن سبيلك أولاً أن تعلم أن ليست المزية التى تليها فهذه الأجناس على الكلام المتروك على ظاهره والمبالغة التى تدعى لها فى نفس المعنى التى يقصد المتكلم إليها بخبره . ولكنها فى طريق إثباته لها وتقريره إياها ، فليست المزية التى تراها لتؤكد : (رايت أسداً) على قولك : (رايت رجلاً لا يميز عن الأسد فى شجاعته وجراته) أنك قد أتت بالأول زيادة فى مساواته الأسد ، بل أنك أتت تأكيداً وتشديداً وقوة فى إثباتك له هذه المساواة وفى تقريرك لها ، فليس تأثير الاستعارة إلا فى ذات المعنى وحقيقته ، بل فى إيجابه والحكم به ، وهكذا قياس التمثيل ترى المزية أبداً فى ذلك تنبع فى طريق إثبات المعنى دون المعنى نفسه ، فإذا سمعتم يقولون : أن من شأن هذه الأجناس أن تكسب المعنى نبلاً وفضلاً ، فيوجب لها شرفاً ، وأن تلحقها فى نفوس المسلمين ، وترفع أقدارها عند

المخاطبين ، فإنيهم لا يريدون الشجاعة والتسرى والقباء ذلك من معاني
الكلم المفردة ، وإنما يعنون إثبات معاني هذه الكلم أن تثبت له ويخير
بها عنه (٨٦) .

البلاغة بين التشبيه والاستعارة : ()

عرفت من خلال التماذج السابقة فصل الاستعارة على الحقيقة ،
ومكانتها بين غيرها من ألوان المجاز ، حيث تشترك غيرها من المجاز
في البلاغة وتأكيد المعنى وتقويته والتعبير عنه بالوسيل من اللفظ ، بينما
تشبه هي قلادة أخرى وهي توفيقه وإبرازه في صورة محسوسة .

وقد عرفت أن الاستعارة تبدأ من حيث ينتهي التشبيه ، وأنه إذا كان
التشبيه الذي أكتفى إليه بتكرار الطرفين بعد حذف الأداة ووجه التشبه
كقولك : محمد أسد (٨٧) ، نثبت بلاغته في أنه يخيل لنا أن الشبه هو
نفس التشبيه به وأن محمداً أسد فعلاً ، كانت الاستعارة أو قل هي
التخييل وأبعد في الإيهام إذ أنها مبنية كما علمت على تشبيه التشبيه
وإدعاء أن الشبه فرد من أفراد التشبه به وداخل في جنسه ، وكان ذلك
سر تنويعها وتبليغها من التشبيه على الرغم من اعتمادها عليه ، يوضح
مبدأ القاهر ذلك فيقول :

« وأما الاستعارة فتسبب ما نرى لها من المثوبة والفضيلة أنك إذا قلت :
« رأيت أسداً » كنت تظننت لما أردت إثباته له من قربة الشجاعة حتى
جعلتها كالشيء الذي يجب له الثبوت والحصول ، وكالامر الذي تصب له
دليل يقطع بوجوده ، وذلك أنه إذا كان اسداً فواجب أن تكون له تلك

(٨٦) انظر : دلائل الإيجاز ص : ٥٦ ، ٥٧ ط المراهق .

(٨٧) والذي فيه يعنى البلاغيين بالتشبيه البلاغ .

الشجاعة العظيمة والاستحبال أو الممتنع أن يعصى عنها وإذا مرحت بالتشبيه نقلت : « رأيت رجلاً كالأسد » كنت قد أثبتتها إثبات الشيء يترجح بين أن يكون وبين أن لا يكون ولم يكن من حيث الوجوب شيء وحكم التحليل حكم الاستعارة سواء ذلك إذا قلت : « إراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى » تلوجبت له الصورة التي يقطع معها بالتحير والتسردد كان يبلغ لا محالة من أن تجرى على الظاهر فنقول : « قد جعلت تتردد في أمرك » فانت كمن يقول : أخرج ولا أخرج فيقدم رجلاً ويؤخر أخرى (٨٨) .

فالاستعارة تفصل الجسار المرسل والمعلق لأنها أكثر توضيحاً للمعنى منها ، وتفصل التشبيه البليغ لأنها أدخل منه في التناهي واشد في التوهم وأبعد في الضمير ، والاستعارة كما علمت متنوعة ، فاندخلها في البلاغة الاستعارية الفصحى لما تستوجب من دقة النظر لكثرة إيجازاتها وتعتمد غروعا ويلها الكثيرة لشدة خدائها وبمدها الفصحى وإلغها المرشحة بالملقاة ثم المجردة .

يبين لك بما سبق مفهوم الاستعارة وأثارها البلاغية الجمالية في القرآن الكريم وكلام الرسول ﷺ والمختار من أشعار العرب وأوجه التشابه والتجليل بينها وبين لداتها من ألوان البيان كالتشبيه والمجاز ، ولا أخفك تشكك الذي شك بعد ذلك في عظيم أثرها وجلال قدرها وأنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستحقة تزيد قدره نيساً وتوجب له بعد الفضل فضلاً ، إذ نرى بها الجماد حياً ملمعاً ، والأعجم نصيحاً ، والأجسام الخرس مبيحة ، والمعاني الخفية بادية جليلة .

فلنتنقل بعد ذلك إلى روضة ثالثة من رياض البيان ، ودوحه غالية من أدواحه وهي الكتابة .

(٨٨) دلائل الإيجاز من : ٥٨ .

(م ١٠ - فروس تطبيقية)

الكتابة

من وجوه البيان خلاف التشبيه والمجاز بأنواعه : المصريح .
وقيل أن تحدثت عن الأصول التي تستعمل فيها ، وأسرارها البلاغية ،
وتسميات البلاغيين لها ، تذكر تعريفها في اللغة وعند علماء البلاغة .
معنى الكتابة في اللغة :

يقول الجوهري في « الصحاح » (١٨) : الكتابة : أن تتكلم بشيء
وتريد به غيره ، وقد كتبت بكذا عن كذا وكثوت ، ولقد أبو زيد :
وإني لأكتب (١٩) من قذور بغيرها

وعرب أحياناً بها فاصـارح

وقال صاحب « الغلبوس » (٢٠) :

« كنى به عن كذا يكنى ويكنو كتابة » : تكلم بما يستدل به عليه ،
أو أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره ، أو يلفظ بجانبه جانيا حقيقة ومجاز .

تعريف البلاغيين للكتابة - والكتابة بين الحقيقة والمجاز

نختار من تعريفات علماء البلاغة للكتابة لثرتها استهجاراً ، وهو
تعريفها عند « عبد القاهر الجرجاني » ثم تعريفها عند « الخطيب البزوني »
وسبغى عن خلال التعريفين الصلة الواضحة بين المعنى اللغوي للكتابة
والمعنى الاصطلاحي لها ، كما نتبين من خلال التفرع في كل من التعريفين
إلى أي التفسير يرجع الكتابة : الحقيقة أو المجاز ؟

(١٨) ج ٦ مادة (كنى) ط ثانية ١٩٨٢ م - ١٤٠٢ هـ : تحقيق د. أحمد
عبد الحفور مطبوع .
(١٩) وفي لسان العرب : لاكنى .
(٢٠) ج ٢ ص ٢٨٦ ط ثانية - الحلبي ١٩٥٢ م .

تعريف « عبد القاهر للكتابة » :

تحدث « عبد القاهر » عن الكتابة في أكثر من موطن ، من ذلك حديثه عنها مع « المجاز » تحت عنوان : في اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره ، وأن ذلك يمثل في امرين : المجاز والكتابة ، وإليها معنا من وجوه التوسع والثمن في الكلام ، وبما ذكره عن الكتابة : « والمراد بالكتابة هاهنا : أن يرد المتكلم بإيات معنى من المعنى ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن بجيء إلى معنى هو تاليه ورفعه في الوجود لغوي» به إليه ويجعله ذنباً عليه ، مثل ذلك توهم : « هو طويل النجاد » يربطون طويل القامة ، « وكثير رماد الصدر » يعنون كثير القرى ، وفي المرأة « تؤوم الفضي » ، والمراد أنها مرفوعة مخدومة لأنها من يهبطها امرها ، فقد أرادوا في هذا كنه كما ترى معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود وإن يكون إذا كان ، فضلاً ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد ، وإذا كثرت القرى كثرت رماد الصدر ؟ ، وإذا كثرت المرأة مرفوعة لها من تكتبها امرها ردف ذلك أن تتسلم إلى الفضي » (٢١) .

فترى من كلام (عبد القاهر) السابق : أن الكلام على سبيل الكتابة لا يكون مقصوداً لذاته ، وإليها يشير الكلام الموجود إلى معنى آخر يكون هو المقصود ، وبذلك يكون معنا في أسلوب الكتابة معنيين : أحدهما ظاهر غير مقصود ، والآخر معنى مقصود ، وقد أطلق عليهما (عبد القاهر) « المعنى والمعنى المبنى » ويشارك « المجاز » « الكتابة » في ذلك . ويتناول

(عبد القاهر) عن « التثنية والمجاز » في أن كلا منهما من « معنى المعنى »
 في موطن آخر : « الكلام على شريين » (٢٢) : ضرب لك فصل يمتد
 إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، وذلك إذا أصبحت أن تخبر عن « زيد »
 مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت : « خرج زيد » وبالاتفاق عن عمرو فقلت :
 « عمرو منطلق » وعلى هذا للتيسر ، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى
 الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه
 موضوعه في التثنية ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى
 الغرض ، ومدار هذا الأسر على « الكتابة والاستمارة والتمثيل » ،
 أو لا ترى أنك إذا قلت : « هو ككسر رماد القدر » أو قلت : « ملوول
 النجاة » أو قلت في المرأة : « تؤوم الضحى » فذلك في جميع ذلك
 لا تليد غرضك الذي تعنى من مجرّد اللفظ ، ولكن يدل اللفظ على
 معناه الذي يوجب مظهره ، ثم يعمل السامع من ذلك المعنى على سبيل
 الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك ، كمرغبتك من « كثير رماد القدر »
 أنه ضيف ، ومن « ملوول النجاة » أنه ملوول القابلة ، ومن « تؤوم
 الضحى » في المرأة أنها مثقلة بخدمة لها من يكلبها أبرها ،
 وكذا إذا قلت : « رأيت أسدا » وذلك الحال على أنه لم يسم يسرد
 السمع ، علمت أنه أراد التشبيه ، إلا أنه بالغ فجعل السدى
 راء بحيث لا يتميز عن الأسد في شجاعته .

وبعد أن أوضح (عبد القاهر) نظريا وتطبيقيا في كتابه السابق أن
 للمجاز والكتابة شكلين : تظاهرا غير مراد وخبيا هو المراد ، أوجز
 ذلك بقوله (٢٣) :

(٢٢) من ٢٦٢
 (٢٣) من ٢٦٢

وإذا قد عرلت هذه الجملة ، نهائنا عبارة مختصرة وهي أن
تقول : « المعنى ومعنى المعنى » بمعنى بالمعنى : الفهم من ظاهر اللفظ
والذي تصل إليه بغیر واسطة ، وبمعنى المعنى ، أن تمثل من اللفظ
معنى ، ثم يلفظ بك ذلك المعنى إلى معنى آخر ، كالذي فسرت لك .
ويلاحظ في كلام (عبدا لغاهر) السابق تكرار فهم فيها ذكره
من تعريف للكناية واستشهاد لها وتحليل لها سابق من شواهد مايلي:
١ - أن الكناية كالمجاز لكل منهما شكل ظاهري غير مراد ،
ومعنى خفي هو المراد .

٢ - أنها قسمان للحقيقة ، بما يعنى أن الكناية عنده تمثل في
المجاز (٢٤) ، وذلك على خلاف ما رآه بعض أكابرنا من أنها تداخل في

(٢٤) دلائل الإعجاز ص ٤٣١ .

(٢٤) يلزم من كلام (عبدا لغاهر) في بواطن آخر أن الكناية من
المجاز بوضوح ، لأن الكلام معنيين : معنى ظاهر غير مراد ، ومعنى
خفي هو المقصود ، وينتد هذا المعنى المقصود القرينة التي تمثل في
السياق بقول (٢٤) : « إذا نظرت إلى الكناية وجدت حقيقتها ومقصود
أمرها أنها إثبات لمعنى ، أنت تعرف ذلك المعنى من طريق المعقول دون
طريق اللفظ ، ألا ترى لك لما نظرت إلى قولهم : « هو كثير رساد
الخير » وعرفت منه أنهم أرادوا أنه كثير الثرى والشيخة ، لم
تعرف ذلك من اللفظ ، وإنما عرفت أنه رجعت إلى نفسك فقلت : إنه
كلام ضد جاء عنهم في المدح ، ولا معنى للمدح بكثرة الرساد ، فليس
إلا أنهم أرادوا أن يدلوا بكثرة الرساد على أنه تنصم له الغدور
»

ويطبخ فيها للتسرى والشفابة ، وذلك لأنه إذا كثر الطبخ في القصور
كثر إحراق الحطب تحتها ، وإذا كثر إحراق الحطب كثر الرماد لا محالة ،
وهكذا السبيل في كل ما كان كناية .

(٢٥) وهو المرحوم النكتور (أحمد موسى) فقد رأى أن الكناية
عند (هيد الفاهر) و (ألكسندري) من الحقيقة ، لأن الحقيقة لفظ مستعمل
فيما وضع له ، سواء أكان ما وضع له مقصوداً لذاته أم مقصوداً
لينتقل منه إلى غيره ، والكناية من النوع الثاني ، أي أنها لفظ مستعمل
فيما وضع له لينتقل منه إلى غير الموضوع له ، بحيث يكون غير
الموضوع له هو متعلق الإثبات والتلخيص ، ومرجع المسند والكسب ،
وعلى هذا تفارق المجال من توسع الأبواب ، لأنها حقيقة وكفى .

(٢٥) وهذا لا يعني أن كل مثال للكناية يجاوز فيه إرادة المعنى
الحقيقي ، فقد تمتنع إرادته لأنه غير متحقق في الواقع ، كما تقول
كناية عن شمس طويل القامة : « فلان طويل التجاد » إذ يصح أن
تقول هذا في شخص لا سيف له ، فضلاً عن أن يكون له تجاد ،
أو لأن المعنى الحقيقي مستحيل ، وذلك كقوله تعالى : « الرحمن
على العرش استوى » كناية عن الاستيلاء والسيطرة ، فالمعنى
الحقيقي هنا تمتنع إرادته ، إذ يستحيل على الله تعالى أن ينسحب
إليه « الاستواء » بمعناه الحقيقي وهو « الجلوس » ، وكقول
تعالى : « بل يدها جسوطان » كناية عن « الجود » لأن « اليد »
بمعناها الحقيقي وهي الجارية مستحيل ثبوتها لله تعالى ، ولكن

٢ - وأنه بناءً على هذا الذي قلناه من كلام (عبد القاهر)
الذي ينقل « الكتابة » مع الحقيقة ، من أن الفرق بينهما وبين الجائر
يظهر في العلاقة بين المعنيين الظاهر والضمني ، فإن كان المصلي
أو غيرها كالسيببية والمسببية والجزئية والكلية وغيرها فإنه يكون مجازاً
لغويًا « استمارة أو مرسلًا » حسب نوع العلاقة ، وإن كانت العلاقة
بينهما غير ما سبق ، كوجود وسائط بينهما قريبة أو بعيدة ، قليلة
أو كثيرة ، كان الكلام كلياً .

تعريف الكتابة عند الخطيب :

أما الخطيب القزويني فقد عرف الكتابة بما يفرجها من الحقيقة ومن
الجاء ويجعلها واسطة بينهما ، وقد اعتد على ذلك على أن قرينة
الكتابة يستلزم معها إرادة المعنى الحقيقي على خلاف قرينة الجاء التي
تنتج عن إرادة المعنى الحقيقي وتحدد المعنى المجازي المراد ، ولذلك
قول : إن قرينة الجاء بالعمامة ، أما قرينة الكتابة فهي مجوزة ،
بقولنا : لأن كمال ريادة القدر ، كتابة عن الكم ، ويمكن أن يقصد

هذا وذلك لا يمنع من كون هذه الأساليب من الكتابة ، لأنه لولا
خصوص المسألة لجازت إرادة معانيها الحقيقية ، لأن الشأن في
قرينة الكتابة أنها مجوزة لا مائة ، متى تحقق هذا الشرط تحققت
الكتابة .

البلغة البلاغية د. أحمد موسى ص ٢٢٩ وبأ بعدها .

المعنى الحقيقى وهو كثرة الرماد المتخلف عن كثرة الإحراق فعلا (٢٥).
يقول الخطيب فى تعريفه للكناية :

« الكناية لفظ أريد به لازم بمعناه ، مع جواز إرادة معناه حيثئذ
كقولك : غلان طويل النجاد (٢٦) - فريد طويل القامة ، وغلانة تؤوم
الضحى أى مزنقة مخدومة غير محتاجة إلى السعى بنفسها أى إصلاح
المهمات ، وذلك أن وقت الضحى وقت سعى نساء العرب فى أمر المعاش
وكفاة أساليبه وتحصيل ما يحتاج إليه فى تهيئة المتطلبات وتبوير إصلاحها
فلا تنسجم فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم يتوبون عنها فى السعى
لذلك ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد والنوم فى الضحى من غير
تأويل ، فالفرق بينها وبين المعنى من هذا الوجه ، أى من جهة إرادة
المعنى مع إرادة لازمه ، فإن المجاز يشأى ذلك (٢٧) .

وما رآه الخطيب فى كون الكناية واسطة هو الأرجح والأشبه .

التسام الكناية :

استنبط البلاغيون المتأخرون من كلام (عبد القاهر) عن الكناية ،
ومن تحليلاته لما سرد من شواهد وأبثلة لها ، والأسرار البلاغية
لكل منها اتساعا للكناية تتمثل فى : الكناية عن صفة والكناية عن نسبة
والكناية عن موصوف ، وقد ذكرنا شواهد لكل منها .

الكناية عن نسبة :

والمراد بالنسبة : إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه ، والعلامة

(٢٦) طويل النجاد : أى طويل جميل السيف .
(٢٧) بقية الإيضاح ١٧٢/٢ تحقيق : عهد المتعال المصيدى ، طرابلس .

الميزة لهذا النوع من الكناية : ان يصرح بالموصوف وبالصفة ولا يصرح بالنسبة بينهما ، ولكن يذكر مكانها نسبة اخرى تستلزم واستلزم النسبة المراد إثباتها او نفيها كان نقول في الكناية عن الخلاق شخص من الناس : حيث يجلس يكون الخلق الحسن ، ومن كرم آخر يتوكل : بيته مؤسس على الكرم ، بنسبة الكرم إلى بيته ليلزم من ذلك إثبات الكرم إليه بطريق الكناية ، ويقول (عبد الغافر) في وصف هذا النوع من الكناية ويوضح إلى سر بلاغته وجفافه بقوله : « إنهم يروونون وصفا الرجل ومدحه ، وإثبات معنى من المعاني الشريفة له ، فيدعون التصريح بذلك ، ويكتفون من جعلها عنه يجعلها في شيء يشتمل عليه ويتطبع به ، ويتوصلون في الجملة إلى ما أرادوا من الإثبات ، لا من الجهة الشاعرة المعروفة ، بل من طريق يخفى ، وبذلك يثق ، وذلكة قول زيف الإجماع وقد نزل على أحد الناس يدهي على عبد الله بن الحنظل مسطور فأكبره والطفه :

إن السجاعة والمسروعة والتسدي

في قبة ضربت على ابن الحنظل

فقد مدحه بالصنات السابقة ، ولم يثبتها بالطريق الظاهر والمريح ، وإنما اثبتها للقبلة التي يجلس تحتها ليلزم من ذلك إثباتها له بوجه أبلغ وأقوى ، لأنها إذا ثبتت للمجل الذي يقيم فيه المدح لزم اتصال المدح بها وذلك أبلغ وأجمل وأقوى في المدح من التصريح بالصفات المذكورة ، وما هو نظير ذلك في المدح من التصريح بالصفات ينسبها إلى شيء يتصل بالمدح ليلزم وصف المدح بها بوجه أبلغ وأجمل وأحسن قولهم :

« المجيد بين ثوبيه » و « الكرم في جيبه »

وقول زهير بن مدح حسرم بن سنان :

هناك ريك يا أعطاك بن حنن

وحيثما بك أدر حسالح فكان

وقول الكابت :

يفسر ابن قنرين الشننما

ح والكرسات بها حيث مستارا

وقول ابن نواس :

فما جازء حوده ولا حل دولته

ولكن يصير الجنود حيث يصير

فيقاله الصفات السابقة للموجين بها لا يمكن وجودون بها ليلزم عن ذلك

إثباتها لهم بوجه أبلغ وأحسن وأقوى ، وعلى ذلك قول (الشننري)

يمف امرأة بالغة :

بيت بيتجة من اللوم يتنهبا

إنا ما يسوت بالالهة طبت

بئس اللوم عن (بيتجا) ليلزم من ذلك تبيسه عنها ووسنها بالهفة على

أبلغ وجبة وأحسنه وأقواء ، ومن أمثلة التخلية عن النسبة مدأ ما سبق

قول خنبلان رضى الله عنه :

بنى المجيد بيتا فأنسخت مناده

عائنا غاميا الناس ان يتحولوا

وقول البحري :

أو ما رايت المجيد السقى رجله

في آل ظلمة ثم ليم يتحول

نقد جعل المجد والمدوح في مكان واحد ، وجعل « المجد » حيث يكون المدوح .

وقول ابن تيمية :

ابن عباس يزن مستوى كريم
وحسبك ان يزن لها سميد (٢٨)

ومثله وإن لم يبلغ مبلغه قول الآخر :

مضى تفلوا تيميم بن كريم

ومثله بن عمرو بن تيميم (٢٩)

ويضم « عبد القاهر » الحديث عن شوامد هذا النوع من الكتابة بقوله :

« وليس لشعب هذا الأصل وبروغة وأبطنه وصورة وطريقه
ومثله حدة ونهنية » (٣٠) .

الكتابة من موصوف

والتمثلة التي تميزها : ان يصرح في الكلام الذي تتبع فيه بالصفة وبالنسبة ويطوى الوصف المقصود بالكتابة ولا يصرح به ، ويكرر

(٢٨) أي وحسبك في الدلالة على أنهن لا يزن سواء ، أنهن يزن لها سميد ، والخطاب في مثل هذا لكل من سمع الشعر .

(٢٩) وكقولهم : « مثلك لا يبطل » قال الزمخشري : نقوا البطل من مظهره ، وهم يريدون تيميم بن كريم ، تصدوا المبالغة في ذلك فسلخوا به طريق الكتابة لأنهم إذا نقوه عين بسد مسده وعين هو على الخس أو مسده ، نقد نقوه عنه .

(٣٠) الدلائل من ص : ٣٠٦ - ٣١٤ تحقيق الشيخ / شاكر .

مكثته صفة أو أوصاف تفتص به وتدل عليه ، كقول المتنبي في مدح
سيف الدولة لما نظر بيته كلاب :

لمسأهم وبسطهم حرير

وصيحتهم وبسأهم تراب

ومن في كفه منهم قنابة

كين في كفه منهم خضاب

في البيت اثنتى كتابتان كل منهما من موصوف ، قوله : « من في
كفه منهم قنابة » كناية عن الرجل ، لأن حمل الرماح والقتال بها من
سلك الرجال ، وقوله « من في كفه منهم خضاب » كناية عن المرأة ، لأن
وضع الخضاب في الكف من سلك النساء ، وواضح أن في البيت
الأول كتابتين كل منهما عن صفة « وبسطهم حرير » كناية عن الغنى
والترف ، « وبسطهم تراب » كناية عن الفقر والإذلال ، يريد الشاعر : أنهم
لهيبة سيف الدولة قد خذلوا حتى صار الرجال كالنساء .

ومن الكناية عن موصوف : الكناية بحرف الصاد عن اللغة العربية
لأن حرف الصاد من الحروف التي تختص بالعربية دون غيرها في قول
أبي العلاء « أحمق شوقي » :

إن الذي ملا اللغات محاسنا

جعل الجبال وسره في الصاد

وكفكتاية عن « الفلب » بـ « بولن » كناية عن قول الشاعر :

قوم ترى أربابهم يوم الوغى

بشفوفة بمواطن الكتمان

وكتابتها عن « الطائرة » بسلايل البخار في قول حافظ :

صفحة البرق أومضت في الغمام

لم تسهب يثق جوف الكلام

أم سلايل البخار طار إلى القصد

فأعيا عسولين الأوهام

وقوله تعالى : « وحققناه على ذات ألواح ونفس » (٢١) كتابة عن السفينة ، لأن مجيوع الأبرين يختص بالسفينة ، وقوله (عَجَل) كتابة عن النساء « بالتقارير » في قوله « لا تجشع » وكان يسوق الإبل سوقا عليها : « يا تجشع » رويك سوتك بالتقارير « (٢٢) .

الكتابة عن صفة

والعلامة التي تميزها : أن يصرح بالموصوف ، وبالصفة إليه ، وتطوى المسئلة المتسودة على أن يذكر مكانها صفة أو صفات تدل عليها (٢٣) .

هذا والكتابة عن صفة تتنوع بحسب قوة الوسائط وكرتها بين المحتين الحقيقي والكتاني إلى : قريبة وبعيدة ، والقريبة إلى : واضحة إذا كان المعنى الكتاني بهم بسهولة ويكون مشقة وخفية إذا لم يسهم المعنى الكتاني إلا بصعوبة وتليل وطول بطر .

فمن الكتابات القريبة الواضحة أي التي تعتمد للوسائط فيها بين المحتين الحقيقي والكتاني ولا تحتاج لتلليل طويل في الوقوف عليها قول صبرين أبي ربيعة :

(٢١) سورة القمر : ١٢ .

(٢٢) جيع ثارورة وهي من الزجاج .

(٢٣) ورايك بالصفة : المعنى القائم بالغير لا خصوص التمتع التلوي ، كالشجاعة والجهن والكرام والبخل وما شاكل ذلك .

بعيدة بهوى القرط إما التوكل

أبوها وإيا عبد شمس وهاشم (٢٤)

نقول « بعيدة بهوى القرط » كناية عن طول الحلق ، وهى كناية قريبة واضحة ، لأنه لا وسائل بين المعنيين ، كما يفهم المعنى الكنائى بيسر وبدون مشقة . ومثلها الكناية عن طول الغلبة بطول التجاد .

ومن الكنائيات القريبة الخفية التى تنعم فيها الوسائل بين المعنى الظاهر غير المراد والمعنى الخفى المراد لكنها لا تنهم إلا بعد تأمل وطول نظر الكناية عن قلة الفهم بعرض القفا عن قولك : فلان عريض القفا ، فعلى الرغم من عدم وجود وسائل بين المعنيين : الظاهر غير المراد والتكنى المراد إلا أنها خفية لعدم اشتغالها ولاحتياجها إلى تأمل ونظر فى الوقوف عليها .

ومن الكنائيات البعيدة التى ينتقل فيها من المعنى الظاهر غير المراد إلى المعنى الكنائى المراد بواسطة واحدة الكناية عن قلة الفهم بعرض الوسادة عن قولك : « فلان عريض الوسادة » حيث ينتقل من عرض الوسادة إلى : عرض القفا ، ومن عرض القفا إلى المعنى الكنائى المتصور وهو قلة الفهم ، وقد وردت هذه الكناية على لسان الرسول (ﷺ) فيها رواء البخارى ومسلم عن عدى بن حاتم قال : لما نزلت هذه الآية : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » .. عمدت إلى عقابن أحدهما أسود والآخر أبيض ، فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت أنظر إليهما ، فلما تبين لى الأبيض من

المتوسط بينهما .

(٢٤) القرط : جلى الأذن ، وهواء : مسقطه من المنكب .

الأسود أمسكت ، ثلثا أصبحت غدت على رسول الله (ﷺ) فليخبرته
بالذي صنعت قتال : « إن كان وسادك لمريضا » .

ومن ذلك قول أبي تيسم :

غإن أنا لم يحدثك عن صاغرا

مدوك فاعلم أنني غير خائب

يريد أن يدانح لك إن لم تكن من الجودة بحيث يحفظها أعدوك

صاغرين غلا تمدن ماكما لك .

فكنى يحفظ الأعداء بخفه له عن إجابة شعره ومديحه ، ويستين

العتين واسطة واحدة ، إذ يفتل من حنط الأعداء المدح له إلى

إعجابهم بهذا المدح ويقتل من ذلك إلى جودة المدح ورمعة قدره

وعظيم تيمنه . ووصف المدو « بالمسافر » لأن من يحفظ المدح في عدوه

ويردده إنما يبل نفسه .

ومن ذلك قول الشاعر في وصف زاهر الأبل أو غنم :

تضعيف العصا يادى المروى ترى له

عليها إذا ما أجذب التلس (سبعاً ٢٥)

وقول الآخر :

صلب العصا بالضرب قد نماها

فود إن الله أقصد النماها (٢٦)

(٢٥) يادى المروى : ظاهرها لقلة اللحم في جنبه ، والمراد بالإصبع :

الآثر الحسن على نسيب الجوار المرسل .

(٢٦) هو من قول أبي العلاء بن سليمان في الإبل ، والضرب يطلق على

الضرب بالعصا وعلى السير في الأرض ، انماها : بمعنى اهلكها من

شدة قهر عليها .

أى جعلها كالنفس في الحسن ، والفرض من قول الأول : « شعير
 العصا » وقول الآخر : « صلب العصا » وإن كنا في الظاهر متشاكين
 فيهما كتابان عن شيء واحد ، وهو حسن الرمية ، والعمل بما يملحها
 ويحسن الكرم عليها ، فأراد الأول أنه رقيق مشفق عليها لا يقصد
 من حمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة ، فهو يخبر ما لأن من
 العصا ، وأراد الثاني أنه جيد الضبط لها عارف بميلاتها في الرمي ،
 يجرها من الرمي التي لا تصد ، ويتوخى بها ما ضمن عليه ،
 ويتضمن أيضا أنه يتمها عن التردد والتبدد ، وأنها لما عرفت من
 شدة شكيته وقوة عزيمته تساق في الجهة التي يريد بها : وقوله :
 « بالضرب قد دماها » تورية حسنة (٢٧) ، ويؤكد لها قوله : « صلب
 العصا » .

ومن التكرارات البعيدة التي ينتقل فيها من المعنى الظاهر غير المراد إلى
 المعنى الكنتلي المقصود بكثرة من واسطة قولهم : « فلان كثير الرمد »
 كناية عن الكرم ، فإنه ينتقل من : كثرة الرمد إلى كثرة الإحراق وإشغال
 الناس ، ومن ذلك إلى كثرة الطبخ ، ومنه إلى كثرة الذبح ، ومنه إلى
 كثرة الأكلين ، ومنه إلى المعنى المقصود وهو الكرم ، فتمدت الوسائط
 كما رأينا . ومن ذلك قول الشاعر :

لا تبضع المعوذ بالفصال ولا

أبضاع إلا قريبة الأجل (٢٨)

(٢٥) لأنه يحتل معنى قريبا وهو أن يشريها بمسبل دينا ، ومعنى
 بعيدا ، وهو جعلها كالنفس ، والمراد هو المعنى البعيد ، وإنما
 أكد لها قوله : « صلب العصا » لأنه يتناسب المعنى القريب .
 (٢٨) المعوذ : جمع عاذ وهي الناقة الحديثة التناج ، والفصال : جمع
 فصيل وهو : ولد الناقة .

ففى البيت كتابتان كل منهما من صنفه وهى : الكرم ، قوله :
« لا أتبع النموذ بالفصال » أى أنه يذبح التوق حديثا الولادة فلا يجعل
فصالها تستمع بهما ، أو يذبح فصالها فيحرم التوق من الاستمتاع برؤيتها ،
يعنى أن التحسر يكون فى الأول للتوق وفى الثانى للفصال ، وينقل من
النحر على هذا النحو إلى كثرة الشيوخ والأكابر ، ويمسك ذلك إلى
الكرم . وكذلك قوله « لا أتباع إلا قربة الأجل » أى إن كل ما يشتره
يذبح بسرعة لشيوخ ، فينقل منه إلى الذبح ، ومن الذبح إلى الكرم .
وللسكاكى تفسيرات أخرى للكتابة عدا ما سبق ، لا تختلف منها
إلا من حيث الاصطلاح والمسمية ، حيث اعتمد في تفسيره لها أيضا على
قلة الوسائط أو كثرتها بين المعنيين : الظاهر والكتانى . وعلى ذلك يكون
الغلاف بين التفسيرين لفظيا ، وانقسام الكتابة عند السكاكى تقابل في
التعريض والتلويح ، الرمز ، الإيهام ، الإشارة .

العلاقة بين المعنيين الحقيقي والكتانى :

عرفنا أن تفسيرات الكتانية عند « السكاكى وغيره » تعتمد على صلة
أو كثرة الوسائط بين المعنيين : الحقيقي والكتانى ، وعلى الرغم من أن
كثرة الوسائط وتعددتها تجعل الكتانية من النوع البعيد الذى يعد أحسن
مستعما والطف مكررا وادخل في البلاغة ، إلا أنه لا يغيب عن بقلنا أن هذا
البعد التلئى عن تعدد الوسائط سيبه إبداع المنتج وتحقيق الفكر ،
وليس البعد الذى ينتج عن سوء الفكر وقساو التصوير ولذلك ذكر
« البلاغيون » أنه مما يدخل في تحقيق الجمال للكتابة وتوفير الحسن لها :
يسر الصلة وسهولة العلاقة بين المعنيين : الظاهر والكتانى ، فإذا ما
خفيت الصلة غسدت الكتابة وتحول الكلام إلى تمية وإلغاز ، وميب
(م ١١ - فنون لطيفة)

وهم ، ويسمى النقاد ذلك تعقيدا معنويا ، يخل بتمساحة الكلام ، ويخرجه بالقطع من دائرة البلاغة ، لذلك كانت دراسة فنون البيان ووجوهه تنق الأساليب من هذا العيب الذي يعرف بالتمتعيد الممتوى الذي يتل كما مررنا في خفاء العلاقة بين المعنيين الأول والثاني ، أو الظاهر غير المراد والتكثلي المراد .

لقد ذكر « عبد الظاهر » أن العلاقة بين المعنيين الأول والثاني ينبغي أن تكون واضحة جلية يمكن تتبعها والوقوف عليها ، وليست بعيدة خفية يحسار الناس في معرفتها وإلا أصبح الكلام غلبا معقدا ، وذلك مما يعيب الأساليب حيث يتعب الفكر ويرقق الذهن في محاولة الوصول إلى المقصود بدون فائدة وذلك بالنسبة لكل من المجاز والكناية ، كأن تكون العلاقة في الاستعارة واضحة بين المستعار له والمستعار به كقشاعة بين الأسد والرجل الشجاع ، لا أن تكون خفية كاستعارة الأسد نفسه للرجل الإبري يجعل نساء الراتحة في كل ، فكثير من الناس لا ينتبه لهذه العلاقة ولا يطن لها ، كما يدركون بسرعة ما بين الأسد والرجل الشجاع من الشبه في الشجاعة ، لذلك يقبل الاستعمال الأول ويمسك الاستعمال الثاني .

كذلك في الكناية لا يتعب الذهن في الوقوف على ما بين « كثير رمد القدر » والمعنى التكاثري المقصود « الكرم » من تعلق ارتباط على الرغم من تعدد الوسائط بينهما ، حيث إن كثرة الرمد ناجمة عن كثرة الإحراق وكثرة الإحراق ناتجة عن كثرة الدليخ ، وكثرة الطبخ ناجمة عن كثرة الأكايين ، وكثرة الأكايين إبرة على الكرم ، وذلك على خلاف ما يكون من

خفاء السلافة وبمدها بين المعنيين : لظاهر غير المراد والكثاني المراد
مما يشتت ذهن ويشتت الفكر كالببت المشهور للمعاني بن الجنت :

سأطلب بعد الدار عنكم تقريرا

وتسكب عيشي الدموع الجيدا

يريد أن ما أمانيه الآن من لومة لاسي لداري لكم ويعدى عنكم
سيتحول في المستقبل إلى سرور وفرح لكثرة تذكري لكم وشدة تعلق
بكم وبالتالي فيها ذكره الشاعر في البيت نرى أنه قد حالفه التوفيق في
بعضه وجانيه في بعضه الآخر . فقد حالفه التوفيق فيها كى به
صا يعتريه من هم وحزن عند الرحيل وتراقى أحبابه بقوله : « وتسكب
عيشي الدموع » إذ أن تسكب الدموع من إمارات الحزن وسماهته «
فالملافة بين تسكب الدموع والحزن من الوضوح يمكن « لكنه جانب
الصواب في كليلته من سروره الدائم في المستقبل بقوله : « لتجيدا »
حيث أن « وجود العين » في التفة ليس من إمارات السرور وإنما من
إمارات الحزن « حيث تبخل العين بالبكاء مع أن الحال حال حزن «
لذلك نعتقد للمعنى لفساد وسوء الملافة بين المعنيين : وجود العين والسرور
الدائم .

وكان الشاعر غير موفق في الكلية من السرور الدائم بوجود العين
لأن ذلك على خلاف المعروف والمعهود من العاطفة واللغة والسببها «
وقد أصرح النقاد هذا البيت من دائرة النصيحة « ولقبوا هذا المعيب
بالتمهيد المعنوي .

ونذكر ما قاله « عبد القاهر » عن سهولة الملافة ووضوح المسئلة
بين المعنيين الأول والثاني : « إنهم أرادوا أن من شرط البلاغة أن يكون

المعنى الأول الذي نجمله دليلة على المعنى الثاني ووسيطاً بينك وبينه
منكنا في دلالة مستقللاً بوساطته ، يستر بينك وبينه أحسن مسطرة
وبشير لك إليه أين إشارة « (٣٩) » .

ثم يقول « عبد القادر » بعد ذلك : « وإن أردت أن تعرف ما حاله
بالقصد من هذا ، فكان يتقوس القوة في تأدية ما أريد منه ، لأنه يترشده
ما يمنعه أن يقضي حق المسطرة فيها بينك وبين نفسك ، ويوضح تمام
الإيضاح عن مزاك ، فانتشر إلى قول العبد بن الاختف :

سأطلب بعد الدار عنكم تقربوا

ونسكب فينساى الدروع لتجهدا

يبدأ قول « بسكب الدروع » على ما يوجب الفراق من الحزن والكبد
فالحسن والصاب ، لأن من شأن البكاء أبداً أن يكون إشارة للحزن وأن يجعل
دلالة عليه ، وكناية عنه ، كقولهم : « أبكيت وأتحتكى » على معنى :
« سامنى وسررتى » ثم ساق هذا القياس إلى تقيده فالتمس
أن يدل على ما يوجب دوام التلاقي من السرور بقوله : « لتجهدا » وفقط
أبما ظن ، وذلك أن الجود هو أن لا تبكى العين مع أن الحال حال
مكاد ، ومع أن العين يراد منها أن تبكى « (٤٠) » .

تقسيمات « السكاكى » للكناية

قسم « السكاكى » الكناية إلى : تمريض والتويج ورمز وإيماء
وإشارة . وقد بنى تقسيم هذا على أن الكناية إن كانت عرضية
فلا تنسب أن تسمى تمريضاً ، مثل قوله (٤٠) : « الحلم من سلم

(٣٩) دلائل الإعجاز من : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٤٠) ص : ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

المسلمون من لسانه ويده « فالمعنى الصريح للقبول النبوي الكريم : حصر الإسلام في غير المؤذي ، ومعناه الكفائي : نفي الإسلام عن مؤذ معين ، وذلك هو المعنى المعرض به وليس هذا المعنى حقيقيا ولا مجازيا ولا كائليا ، لأنه لم يفهم من اللفظ أصلا ، وإنما يفهم من السياق وقرائن الأحوال .

ثم ذكر « السكائي » أن الكناية إن لم تكن عرفسية ، فإن زادت وسائطها عن واحدة سيئ « تلويحا » لأن « التلويح » أن تشير إلى غيرك من بعد ، وإن كان الانتقال فيها بغير واسطة أو بواسطة واحدة ، فإن كان فيها نوع خفاء فالتناسب أن تسمى « رمزا » لأن « الرمز » أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية ، وإن لم يكن فيها شيء من الخفاء فالتناسب أن تسمى « إيحاء وإشارة » .

وهذه التسميات لا تختلف كما ذكرنا عن التسميات السابقة إلا من حيث التسمية ، وهي عند « عبد القاهر » من قبيل المراتبات كلها أن « عبد القاهر » لم يتحدث عن « التعريض » .

التعريض

عرفنا أن التعريض ليس من الحقيقة ولا من المجاز ولا من الكناية ، لأنه لا يفهم من اللفظ ، والحقيقة والمجاز والكناية من مدلولات اللفظ ، وإنما يفهم « التعريض » من السياق وقرائن الأحوال .

والتعريض في اللغة : ضد التصريح ، يقال : عرض لفلان وبينلان ، إذا قال قولا وهو يعرته ، ويقال : نظر إليه من عرض أي من جانب .

والتعريض في الاصطلاح : هو المعنى الحاصل عند اللفظ لا به .

والتعريف يتكون من شقين : « المعنى الحاصل عند اللفظ » ويشمل ذلك : الحقيقة والمجاز والكناية ، والثق الثاني : « لا يه » مخرج نهما جديما ، الحقيقة والمجاز والكناية ، لأن كلا منهما يدل عليه «الانسلاط » فهي حاصلة عند ذكر الانسلاط وبها ، أما التعريف فله يدخل بهذا الفيد لأنه يدل عليه السياق وقرآن الأحوال وليس اللفظ . وذلك بمد التعريف ميلينا وبغارا للحقيقة والمجاز والكناية .

من أمثلة التعريف

ومن أمثلة التعريف قول المحتاج أن يتوقع مسئلة ومعرفة بقبر طلب « جئتكم لأسلم عليكم » أو « إلى لمرين » أو « إن البرد قد أذاني » فهذا الكلام وما مثله تعريف يطلب ، وبست دلالة على الطلب من جهة حقيقته أو مجازا أو كتابته ، لأن المعنى المتصود يفهم من عرضه وجنبيه لا من لفظه .

وقوله تعالى : « قالوا انت فعلت هذا بالهنا يا إبراهيم » قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألهم إن كانوا ينطقون (١) فنقول إبراهيم عليه السلام : « فاسألهم » تعريف بجيلهم ونسبهم عقولهم فكانه يقول لهم : كيف تعبدون ما لا يجب إن سئل ولا ينطق إن كلم ، وتعملونه شركا إن له الثاني والأمر ؟ وذلك المعنى لم يدل عليه اللفظ ، بل دل عليه السياق وقرآن الأحوال .

ويروى أن « عثمان بن عفان » رضى الله عنه دخل المسجد وسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه بخطب الجمعة فأراد « عمر » بماتته على

(١) سورة الأنبياء : ٦٦ ، ٦٧ .

تأخره في الحضور إلى المسجد ، فقال له : أي سامة هذه ؟ فقال عثمان : ثقابت من السوق ، فسمعت النداء ، فما زدت على أن توضح ، فتقوله : « أي سامة هذه ؟ » تعريض بالإنتكار عليه لأخيه من الحضور للسلاة وعدم الإسراع والسبق إليها ، فالمسؤول من السامة إنما ينتقل بآسه المخاطب إلى العتاب على تأخير الحضور ، بواسطة أمور خارجة عن اللفظ من نحو وقت السؤال ، وحال المسئول أو المسئول عنه فيإراد السؤال عند تجميع هذه الأحوال هو ما يسمى « السياق وترائن الأحوال » .

ويروى أن امرأة قالت لثيب بن سمعد : اشكو إليك قلة الفار في بيتي ، فقال : ما أحسن ما ورت من حاجتها !! أملاوا لها بيتها خيورا ولحما وسمنًا ، والتعريض بحاجتها واضح كما نرى .

ومثل هذا ما يروى من أن عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فتألت له : « يا لير المؤمنين : مشتت جردان بيتي على العمى ، فقال لها : أظلت في السؤال ، لا جرم لأردنها تشب وبك اليهود ولا بيتها حيا » فقد أصغت تلك العجوز التعريض بحاجتها إلى الإحسان . ونهم « سليمان » ما تضمنه ليس من اللفظ ، بل من حالها ، ومن طريقة إخبارها ، وتصديها له ، وكونه هو المقصود ، وقدرته على إغاثة الملهومين ، وذلك كله هو السياق ، ولو أن هذه الأثرال وما ملأها مما سبق مسفرت من غير محتاج ، أو كان المخاطب بها ليس أهلا لفكساء الحاجات ، لحلت على الحقيقة ، ولم تكن من قبيل التعريض في شيء .

التعريض بجرى على السنة الناس بالظفرة

والتعريض كغيره من فنون البلاغة يجرى على السنة الناس بالظفرة فذلك تقول إن أسناء إليك : « لست فأبل الأدب » معرّضا به ويسوء

أدبه ، أو « لست كذاباً » تعريضاً بين كذب عليك ، ونقول : اجلس بحوار
الكريم أو الشجاع أو الأمين تعريضاً بغيره من الجالسين ممن توجد فيهم
تلك الصفات ، والذي دل على التعريض في جميع ذلك هو السياق وقرائن
الأحوال وليس الالتقاط .

علاقة التعريض بالحقيقة والمجاز والتكناية

يختلف التعريض كما رأينا عن الحقيقة والمجاز والتكناية من جهة
أن هذه يدل عليها اللفظ فهي من مداخلات الالتقاط ، بخلاف التعريض
فإن ما يدل عليه هو السياق وقرائن الأحوال .

كما يختلف التعريض عن الحقيقة والمجاز والتكناية من جهة ثانية ،
وهي أنه يقتصر بالتركيبات ولا يرد في الالتقاط المفردة ، حيث يدل عليه
السياق وقرائن الأحوال ، وذلك لا يستلزم به اللفظ المفرد ، وإنما ينشأ
من جهة التركيب ، فلا يقال : هذه التكناية تعريض ، كما يقال :
هذه التكناية حقيقة أو مجاز أو تكناية ، فالمعنى التعريضى
مقصود من اللفظ المركب إشارة وسياقاً لا استعمالاً ، والحقيقة والمجاز
والتكناية مقصودة من اللفظ مفرداً أو مركباً دلالة واستعمالاً .

وعلى هذا فالتعريض قد يكون مستتبعا لكلام حقيقى أو مجازى
أو كئلى فقد يكون طريق التعريض كلاماً حقيقياً ، ثم يقصد منه بالسياق
وآرائن الأحوال معنى تعريضى يكون هو المقصود بالإفادة ، كما في قول ذى
الحاجة إن يعرف حاجته ويستطيع قضاءها : « جئتك لاسم عليك » أو
« انتظر إلى وجهك الكريم » ، فهذا التركيب حقيقى لا مجازى ولا كئلى ،
وهو طريق للمعنى التعريضى المراك من الكلام إشارة وطلبها لا دلالة
واستعمالاً ، بواسطة السياق وقرائن الأحوال ، وهو هنا : حلال

المتكلم وهو الاحتياج ، وحال المخاطب وهو : معرفته بحال المتكلم وتقدرته على قبالتها ، نلو مصدر هذا القول من غير محتاج أو كان المخاطب به لا يعرف احتياج المتكلم ، أو لم يكن ممن يقصد لنفسه الحاجات لحمل على الحقيقة ، ولم يكن من التعريض لى شيء .

وقد يكون التركيب مجازيا ، ويكون طريقا للمعنى التعريفي المراد من الكلام إشارة وتلويحاً بدلالة السياق وقرائن الأحوال ، كان تكون في مجلس غيبه شخص معين ، كان يطلع إلى منصب كبير ، ثم حصل عليه من هو اكنا منه ، فأردت أن تعرض بعنم كناية ذلك الشخص المعين فقلت : « أخذ القوبن باريها » ، وأنت لا تقصد مسوى هذا المعنى التعريفي ، كان طريق التعريض هنا كلاما مجازيا ، لكنه لم يستعمل في معناه المجازي ، بل في المعنى التعريفي ، بمعونة السياق وقرائن الأحوال ، بحيث لو لم تقصد هذا المعنى التعريفي ، لكان التركيب استعارة تيثلية لعلالة المشابهة .

وقد يكون التركيب كتابية ، ويكون طريقا للمعنى التعريفي المراد كقولك : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » فمعناه الصريح : حصر الإسلام في غير المؤذى — ويلزمه : نلى الإسلام عن كل مؤذ ، فإذا قصد به نلى الإسلام عن مؤذ معين بذاته ، كانت الكناية طريقا للتعريض ، وكان المعنى التعريض وهو نلى الإسلام عن ذلك الشخص المعين هو المقصود من الكلام بمعونة السياق وقرائن الأحوال ، بحيث لو لم يقصد المتكلم هذا المعنى التعريفي لكان الكلام كتابية .

المقلبات والأغراض التي تستخدم فيها الكتابة والتعريض

يحقق استخدام الأسلوب الكتابي الأغراض الآتية :

١ - إبراز المعنى الحقيقي في الوضوح الصور وإيضا ، وذلك لير
يشترك فيه جميع صور البيان التي توضح المعقولات وتوجد المعنويات
كتابية عن التزم بالمعنى على الأصابع في قوله تعالى : « ويوم يعرض
النظام على بنيهِ (٢٧) والكتابة عن الصورة والألم بقوله : « .. فأصبح
يقرب كفيه على ما اتفق فيها وهي خاوية على عروشها (٢٨) » .
٢ - زيادة التخييل من الصفات والأعمال السلبية كتابية عن البخل
بقوله سبحانه : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك (٢٩) » بتصوير
البخل بصورة من تبتت يده في عنقه فلا يستطيع لها فككا ليعود عن البخل
والهشقر منه .

٣ - تجلب السلاط يعبر بها عما يخجل ويستحي من ذكره ، وذلك
كتابية عن الجماع يصيغ متعددة لاختلاف الأحوال والمخاضات
كتابية عن ذلك مرة « بالرفق » في قوله : « أهل لكم ليلة الصيام
الرفق (٣٥) والامانة في قوله : « أو لا يستم النساء (٣٦) »
وإيمان الحرث في قوله « نسألكم حرث لكم فأتوا حرثكم أي سلكتم (٣٧) »

- (٢) سورة الفرقان : ٢٧ .
- (٣) سورة الكهف : ٤٢ .
- (٤) سورة الإسراء : ٢٩ .
- (٥) سورة البقرة : ١٨٧ .
- (٦) سورة المائدة : ٦ .
- (٧) سورة البقرة : ٢٢٣ .

وكانت كتابة عن النبول بالغالب في قوله : « أو جاء أحد منكم من الغائط ... » (٨) وأكل الطعام في قوله : « كأننا ياكلان الطعام ... » (٩) .

٤ - ومن الأغراض والمخالفات الخاصة بالتمريض : التمكن من النقد والإصلاح والتوجيه والإمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولاسيما حين تأخذهم الغيرة بالإثم ويظنون خطأ لهم الكبر من التوجيه ، واسمى من أن يؤمروا أو ينهوا ، وفي مثل هذه الحالة وما يشاكلها عندما يصعب الإصلاح أو الوقوف وبخاصة في بعض الفترات التي تعيد فيها الحريات ويحجر فيها على النقد والإصلاح والتنويم بكل منسبته ، في مثل هذه الأحوال يسخى أسلوب التمريض من أفضل السبل للتوجيه والإصلاح حيث يمكن صاحبه من تحقيق ما يريد بدون أن يعرض نفسه لخاطر واستبداد من يوجه إليهم نقده وتوجيهاته . وفي مثل هذه الأحوال يتحقق التمريض كما عرفنا بتوجيه الحديث إلى آخرين أمرا أو نهيا ، ليفهم المتصوفون من خلال السياق والفرائن المطلوب في الوقت الذي يسلم فيه صاحب الكلام من العتاب والمؤاخذه .

الأسرار البلاغية لقنصون البيان

تشارك صور البيان التي تقع في موقعها المناسب في تحقيق عدد من الأسرار البلاغية ، مع اختلاف هذه الأسرار كما وكيفا من فن بياني إلى آخر ، ومن سياق لآخر ، وتتمثل هذه الأسرار فيما يلي :

١ - الوضوح والظهور والبيان ، وسر ذلك وأضح في أنها تجعل العفلى حيا ، والمعنوى جليا .

- (٨) سورة المسادة : ٦ .
(٩) سورة المسادة : ٧٥ .

٢ - الإيجاز ، وبعض مسوهر اليبس أكثر إيجازاً من الأخرى ، كاستعارة التي تعد أكثر إيجازاً من التشبيه ، حيث إنها مع شيائها على التشبيه واعتبارها عليه إلا أنه لا يبنى فيها من أركانه إلا ركن واحد فقط : المشبه أو المشبه به .

٣ - تأكيد المعنى المراد وتقويته لأنها كالدعوى المسجوبة بالبيئة والدليل والبرهان .

٤ - المبالغة ، ومشوفاً تأكيد المعنى وإثباته ، ولذلك لا تكون المبالغة في المعنى ذاته ، وإنما تكون في إثباته وتأكيد .

يقول الشيخ « عبد التاهر » في تقرير اللفظة فنون البيان من تشبيه ومجاز وكتابة على غيرها ، واللفظة بعضها على بعض : « لطبق اللفظ على أن المجاز يبلغ من الحقيقة ، وأن الاستعارة يبلغ من التصريح بالتشبيه ، وأن الدليل على سبيل الاستعارة يبلغ من الدليل لا على سبيل الاستعارة وأن الكتابة يبلغ من الإنصاح بالذكر » (١) .

ثم يقول عن معنى هذه المبالغة ذاتها ليست في المعنى ذاته ، وإنما في إثباته وتأكيد ، وعن سر اللفظة الاستعارة على التشبيه ، واللفظة الكتابة على التصريح : « وليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيد خلافاً ، بل لأنه يفيد تأكيداً لإثبات المعنى لا يفيد خلافاً ، فليست نفسيلة قولنا : رأيت أسداً على قولنا : رأيت رجلاً هو والأسد سواء في الشجاعة . إن الأول أفاد زيادة في مساواته للأسد في الشجاعة ثم يفدها الثاني ، بل هي إن الأول أفاد تأكيداً لإثبات تلك المساواة ثم يفده في الثاني ، وليست نفسيلة قولنا : كثير الرصاص

على قولنا : كثير الثرى أن الأول إمداد زيادة لقراء لم يقدموا الشيء ، بل هي أن الأول إمداد تأكيداً لإثبات كثرة الثرى له لم يقدم الشيء ، والسبب في ذلك أن الانتقال في الجريح « أي في الجسار بانواعه والكنية » من الخروم إلى اللزيم ، فيكون إثبات المولى به كدعوى الشيء ببيئة ، ولا شك أن دعوى الشيء ببيئة أبلغ في إثباته من الدعوى بلا بيئة « (١١) » .

ويحدد « عبد القاهر » ويتصل في موضع آخر أسرار هذه المزايا بالنسبة للاستعارة على انتشبه ، والكنية على التصريح فيقول (١٢) :

« أما الكنية فإن السبب في أن كان للإثبات بها منزلة لا تكون للتصريح أن كل ماثل يعلم إذا رجع إلى نفسه ، أن إثبات الصفة بإثبات دليلها ، وإيجابها بما هو شاعده في وجودها لك وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها تثبتها هكذا سألنا غسلاً ... ولما » الاستعارة « فسيب ما ترى لها من الثروة والفخامة ، أنك إذا قلت : « رأيت أسداً » كنت قد قلت لها أدت إثباته له من غرط الشجاعة ، حتى جعلتها كالشيء الذي يجب له الثبوت والحصول ، وكالأمر الذي نصب له دليسه بقطع بوجوبه ، وذلك أنه إذا كان أسداً فواجب أن تكون له تلك الشجاعة المظنية ، وكالتحويل أو المذنب أن يعرى عنها ، وإذا صرحت بانتشبهه فقلت : « رأيت رجلاً كالأسد » كنت قد أثبتتها إثبات الشيء وترجح بين أن يكون وبين أن لا يكون ولم يكن من حديث الوجوب في شيء . »

(١١) بغية الإيضاح ١٩٢/٣ .

(١٢) الدلائل ص : ٧٢ تحقيق الشيخ / شاكور .

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
علم البيان — منزلة — معناه — وجوه	٥
التشبيه	٩
دواعي تأثير التشبيه على النفس	١٢
تعريف التشبيه — أركانه	١٨
أغراض التشبيه	١٧
التشبيه والتنزيل	٢٢
تشبيه القريب والبعيد	٢٨
التشبيه البعيد والغريب	٤٢
تحويل التشبيه القريب إلى بعيد غريب	٥٦
المجاز : قبيحة البلاغة — أنواعه	٦٨
المجاز المرسل	٧٠
الاستعارة	٧٧
الملازمة	٨٧
التناسب بين المستعار له والمستعار منه	٩٢
القربى	٩٥
الفرق بين الاستعارة والكذب	٩٩
الاستعارة القريبة والبعيدة	١٠٠
الاستعارة البعيدة	١٠٤
تحويل الاستعارة العملية القريبة إلى خاصة بعيدة	١٠٩
الجمع بين الاستعارات	١١٢
الاستعارة الأصلية والتمعية	١١٣

الموضوع	الصفحة
الاستعارة التبعية	١١٤
الاستعارة التبرهجية والكناية	١١٦
الاستعارة المكينة	١٢٠
الاستعارة التبعية يمكن ردها إلى المكينة	١٢٢
الاستعارة المطفة والمجردة والمرشحة	١٢٤
الاستعارة المجردة	١٢٦
الاستعارة المرشحة	١٢٩
التجريد ثم الإطلاق ثم الترشيع	١٣٠
الاستعارة التهكبية	١٣٢
الاستعارة التثنية	١٣٣
بلاغة الاستعارة	١٣٦
البلاغة بين التشبيه والاستعارة	١٤٤
الكناية :	
معنى الكناية في اللغة	١٤٦
تعريف البلاغين للكناية - الكناية بين الحقيقة والمجاز	١٤٦
تعريف (عبد القاهر) للكناية	١٤٧
تعريف الكناية عند (الخطيب)	١٥١
الكناية من تسمية	١٥٢
أقسام الكناية	١٥٢
الكناية من موصوف	١٥٥
الكناية من صفة	١٥٧
العلاقة بين المعنيين الحقيقيين والكناهي	١٦١
تقسيمات السكاكي للكناية	١٦٥

الموضوع	الصفحة
التعريض	١٦٥
من أبطة التعريض	١٦٦
التعريض بجر... على السنة الناس بالنظرة	١٦٧
علاقة التعريض بالحقيقة والجاز والكتلية	١٦٨
الفتيات والأغراض التي تستعمل فيها الكتلية والتعريض	١٧٠
الأسرار البلاغية للنون البيان	١٧١

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

١٩٩٢/٩٧٤٦

مطبعة الحسين الإسلامية

٢٥ حارة المدرسة خلف الجامع الأزهر

تليفون : ٤١٠٦٧٢٤